العَمَلُ التّشارُكِيُّ ،
وعَوَامِلُ نجَاحِه ، فِي ضَوْءِ السِّيرةِ النَّبَويَّة ،
الهِجْرةُ النَّبويَّةُ نَمُوذَجَاً »

إعداد /

د/ الزيادي محمود علي البطة

مدرس الحديث وعلومه

في كلية أصول الدين والدعوة – جامعة الأزهر – فرع المنصورة

العَمَلُ التَّشارُكِيُّ، وعَوَامِلُ نَجَاحِه، فِي ضَوْءِ السِّيرةِ النَّبَوِيَّة، « الهِجْرةُ النَّبويَّةُ نَمُوذَجاً »

الزيادي محمود علي البطة

قسم الحديث وعلومه، كلية أصول الدين والدعوة، جامعة الأزهر، المنصورة، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: Alziyadyalbatta.2124@azhar.edu.eg

الملخص:

يتناول هذا البحث التعريف بالعمل التَّشَاركي من حيث اللغة والاصطلاح، وبيان أهميته وفائدته، وكونه السبيل إلى إقامة الحضارات، وبناء الأوطان، والنهوض بالأمم، وتقوية روابط المحبة والتراحم، وهو الوسيلة المثلى لتحقيق الأهداف، وإنجاز الأعمال، والوصول من خلاله لأفضل النتائج، ويعمل على توظيف الطاقات، واختصار الوقت، والاستفادة من الخبرات، كما يُبيّن البحث الضوابط التي ينبغي أن تراعى عند القيام بأي عملٍ تشاركي، والتي من شأنها إخراج العمل التشاركي على أكمل صورة، كما يتناول بعض نماذج العمل التشاركي من خلال السيرة النبوية المباركة، والتي تُبين مكانة وقيمة هذا العمل، كما يُسَلِّط الضوء على العوامل التي ساهمت في إنجاح أهم وأعظم مرحلة في تاريخ الدعوة الإسلامية، ألا وهي الهجرة النبوية، باعتبارها النَّموذج الأمثل والأعظم للعمل التَّشَارُكِي النَّاجِح، وهي المرجع لكل إنسان يُقْدِمُ أي عمل تشاركي، وينبغي الوصول إلي أعلى معايير النجاح، مما يتضح من خلاله ارتباط السنة والسيرة النبوية المباركة بمستجدات العصر، ومتطلباته.

الكلمات المفتاحية: العمل التشاركي – عوامل النجاح – ضوء – السِّيرة النبوية – الهجرة النبوية

Participatory work, and its success factors, in light of the Prophet's biography, "The Prophet's Migration as a Model,"

Al-Ziyadi Mahmoud Ali Al-Batta,
Department of Hadith and its Sciences, Faculty of Fundamentals of Religion and Da'wah, Al-Azhar University, Mansoura, Arab Republic of Egypt.
E-mail: Alziyadyalbatta.2124@azhar.edu.eg

Abstract:

This research deals with defining participatory work in terms of language and terminology, and explaining its importance and benefit, and that it is the way to establish civilizations, build nations, advance nations, and strengthen bonds of love and compassion. It is the best means for achieving goals, accomplishing work, and achieving the best through it. Results, and works to employ energies, shorten time, and benefit from experiences. The research also shows the controls that should be taken into account when carrying out any participatory work, which would produce the participatory work in its most complete form. It also addresses some models of participatory work through the biography of the blessed Prophet, Which shows the status and value of this work, and also sheds light on the factors that contributed to the success of the most important and greatest stage in the history of the Islamic call, namely the Prophet's migration, as it is the ideal and greatest model for successful participatory work, and it is the reference for every person who presents any participatory work, and seeks to reach the highest level. Criteria for success, which demonstrates the connection between the Sunnah and the blessed Prophet's biography with the developments of the era and its requirements.

Keywords: participatory work - success factors - light - the Prophet's biography - the Prophet's migration

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمدُ للهِ الَّذي جعلَ قلوبَ أوليائِهِ مِشْكَاةً لأنْوارِ مَعْرِفَتِه، وَشَرَحَ بأسرارِ السُّنةِ النبويةِ صدورَ أحِبائِهِ، فَفَازُوا بِعِظَمِ وِرَاثَتِه، وَصَفَّاهُم عَن الشوَائِبِ لمَّا أخْلَصُوا الوِجْهَةَ إلَيه، وَصَارُوا مِنْ أهلِ وِدَادِهِ وَصَفْوَتِه.

أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ عَلَى مَا وَفَّقَ منَ الاهتداءِ بِهَدْيِ رسولِهِ ﷺ، والاقتفاءِ لسُنَّتِه، وَأَشْكُرُهُ عَلَى فَيْضِ فَضْلِهِ العَمِيم، وَأَسْأَلُهُ المزيدَ منْ عَطَائِهِ وَرَحْمَتِه.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، المنفردُ بعزِ كِبْرِيَائِهِ وَوَحْدَانِيتِه في جلالِ ذَاتِهِ وَصَمَدَانِيتِه، وَأَشْهَدُ أَنَّ سيدَنا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وحبيبُهُ وخليلُهُ وخِيْرَتُهُ منْ خَلِيْقَتِه، صَلَّى اللهُ وسلمَ وبارك عليه، وعلى آله الأطهار، وصحبه الأخيار، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.(١)

وبعـــــد

فلقد أوحى اللهُ تعالى إلى رسوله سيدنا مُحَمَّد ﷺ بالرسالة، وأمره بتبليغها، واقتضت الحكمة الإلهية أن تكون الدعوة سرّية في بداية الأمر؛ حفاظاً عليها من الهلاك، وصيانةً لها من الضياع – وهي ما زالت في مهدها — حيثُ شَرَعَ النَّبِيُّ ﷺ في الدعوة إلى الله تعالى سراً بين أهله وأقاربه وأصدقائه المقربين، وهي المرحلة التي أعقبت نزول قول الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ ﴾(٢)، واستمرت الدعوة السّرية قرابة الثلاث سنوات،

ثم انتقل النَّبِيُّ ﷺ بعدها من مرحلة الدعوة السّرية إلى الدعوة العلنية، وهي المرحلة التي أعقبت نزول قول الله تعالى ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٩٤ ﴾(٣)،

(١) جزء من مقدمة الإمام ابن حجر الهيتمي (رحمه الله) في كتابه (فتح الإله).

(٢) {سورة المدثر: الآية ١ – ٢}.

(٣) {سورة الحجر: الآية ٩٤}.

حيثُ شَرَعَ رسول الله ﷺ في الجهر بالدعوة، مما نتج عنه اضطهاد كفار قريش لرسول الله ﷺ، ولأتباعه الذين آمنوا برسالته ﷺ، وإلحاق كافة أنواع الأذى والتعذيب والتنكيل بهم، واستمر إيذاء كفار قريش للنَّبِيّ ﷺ ومن معه حتى بلغ ذروته، فأمر الله تعالى رسوله ﷺ بالهجرة من مكة إلى المدينة، ليستكمل النَّبِيُّ ﷺ دعوَتَه الجهْرية بين أهل المدينة الذين آمنوا برسالته ﷺ،

وبايعوه على أن يهاجر إليهم ويمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأولادهم وأهليهم، فكانت الهجرة النبوية المباركة.

ولم تكن الهجرة النبوية حدثاً عابراً، أو موقفاً طارئاً، بل كانت حدثاً فارقاً في تاريخ الإنسانية، غيَّر وجه العالم وواقعه، وحمل في طيَّاتِه أسمى المعاني الإيمانية العظيمة، والقيم الإنسانية النبيلة، حيثُ مَثَّلتْ الهجرة النبوية المثل الأعلى والأعظم في التَّوكُّل على الله سبحانه وتعالى، والتَّضْحية والفداء، والمحبة والصَّداقة، وظهر من خلالها براعة التَّخْطِيط، ودقة التَّنْفيذ، وكان من أَجَلِّ الدُّروس التي أبرزتها الهجرة المباركة، وأعظمها هو التَّشَارُك والتَّعاون في سبيل إنجاح هذه المهمة، وهذا البحث **(العَمَلُ التّشارُكِيُّ، وعَوَامِلُ نَجَاحِه، فِي ضَوْءِ السِّيرةِ النَّبَوِيَّة،" الهِجْرةُ النَّبويَّةُ نَمُوذَجاً ")** يُسَلِّطُ الضوْء على مدى ما تحلى به أبطال الهجرة النبوية ــ وعلى رأسهم سيدنا رسول الله ﷺ ــ من تشاركٍ وتعاونٍ في سبيل إنجاح الهجرة النبوية المباركة.

*** أهمية هذا الموضوع:**

تكمن أهمية هذا الموضوع في أنه يتناول الحديث عن العوامل التي ساهمت إنجاح أهم وأعظم مرحلة في تاريخ الدعوة الإسلامية، ألا وهي الهجرة النبوية، فالهجرة النبوية مثَّلَت مرحلةً فارقةً في تاريخ الإنسانية، ونقلةً نوعيةً للبشرية من الظلمات إلى النور، وفرقاناً بين الحق والباطل، ولحظة الانطلاق في سبيل نشر الدعوة، وإرساء قواعد الدولة الإسلامية المباركة، وهي النَّموذج الأمثل والأعظم للعمل التَّشَارُكِي النَّاجِح، مما يُحَتِّم على كل إنسان يُقْدِمُ أي عمل تشاركي أن يجعلها المرجع والأسوة له أثناء سيره في هذا العمل، كما أن هذا البحث يبرز أهمية العمل التشاركي التعاوني، باعتباره السبيل إلى

إقامة الحضارات، وبناء الأوطان، والنهوض بالأمم، في ظل هذا العالم المتسارع في التَّقدم، وفي هذا البحث إن شاء الله تعالى – وأسأل الله العون والسداد والتوفيق ــ سأبذل قصارى جهدي لبيان العوامل التي أرساها النَّبيُّ ﷺ، وصحابته الكرام ﷺ ــ ممن كان لهم شرف المشاركة في هذا الحدث الأعظم ــ لإنجاح هذه المهمة المشتركة، ألا وهي الهجرة النبوية المباركة على صاحبها أفضل الصلاة، وأتم السلام، وذلك في ضوء السيرة النبوية المطهرة.

*** أسباب اختياري لهذا الموضوع:**

١- ربط السنة والسيرة النبوية المباركة بمستجدات العصر، ومتطلباته، وبيان أنها لا تنفك عنه بحال من الأحوال، حيث إن العمل التَّشْارُكي التَّعَاوني من متطلبات المهنة، ومن متطلبات الاستراتيجية التعليمية الحديثة، لمسايرة التطوُّر المعرفي السريع، ومن متطلبات التنمية المستدامة التي تصبو إليها جميع بلاد العالم؛ للنهوض والتَّقَدُم، وغير ذلك.

٢- بيان عناية السنة والسيرة النبوية بالعمل، والدعوة إليه، إذ لا سبيل لنهوض وتقدم الأمم إلا بالعمل.

٣- إبراز الجانب العملي من حياة النَّبيّ ﷺ في إعلاء قِيَمِ التَّعاون والتَّشَارُك والتكامل والوحدة، ونبذ الفرقة.

٤- نشر الصورة الحضارية المثلى للإسلام، وذلك من خلال تسليط الضوء على القيم النبيلة، والدروس العظيمة التي تحويها الهجرة النبوية المباركة.

*** مشكلة البحث:**

كثيراً ما يشرع بعض الناس في أعمال تشاركية جماعية دون وضع خطة أو رؤية لهم يسيرون عليها، أو منهج يلتزمون به أثناء أدائهم لهذه الأعمال، مما ينتج عنه عدم تحقق النجاح المطلوب، وعدم الوصول للهدف المنشود، وقد أردتُ بهذا البحث تسليط الضوء على المنهج والإطار الذي ينبغي على كل شخص يُقْدِمُ على عمل تشاركي جماعي أن

يلتزم ويهتدي به، حتى يكتب اللهُ تعالى له التوفيق والنجاح، ويحقق الهدف المراد من هذا العمل، وليس هناك أجلّ ولا أعظم من رسول الله ﷺ حتى نتأسى به، ونقتفي أثره في بيان هذا الأمر، فشرعتُ في إعداد هذا البحث المتواضع – مُستعيناً بالله تعالى – لنقف على الأسس والمبادئ والأُطُر والضوابط التي وضعها النَّبيُّ ﷺ وطبَّقَهَا؛ لإنجاح الهجرة النبوية باعتبارها أعظم مثال للعمل التشاركي الناجح، وذلك من خلال سيرة نبينا ﷺ المطهرة، وحياته العملية المباركة.

*** الدراسات السابقة:**

كثيراً ما كُتِبَ عن الهجرة النبوية المباركة، إلا أنني – على حد علمي المتواضع – لم أقف على دراسة مفردة تتناول عوامل نجاح العمل التشاركي، وربطه بالسيرة النبوية المباركة، والذي هو موضوع هذا البحث.

*** منهج البحث:**

من خلال واقعية الموضوع فإنني ــ إن شاء الله تعالى ــ سوف أستخدم المنهج الاستقرائي[(١)] لتتبع وجمع الأحاديث والآثار المتعلقة بموضوع البحث، والمنهج التحليلي[(٢)] في تحليل المعلومات وربط الأحداث بعضها ببعض، وبيان ما حوته الأحاديث والآثار المتعلقة بموضوع البحث من فوائد وأحكام، وكذا المنهج التاريخي[(٣)]

(١) الاستقراء هو: التتبع والتصفح والتعرف على الظاهرة كلها أو بعضها، ثم الوصول عن طريق التعميم إلى حكم عام يشملها. "نظرات في المنطق الحديث ومناهج البحث" أ.د/ محمد الأنور، طبعة رشوان، مصر، الثالثة، لسنة ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م (ص ٣٢).

(٢) المنهج التحليلي: هو منهج يقوم على دراسة الإشكالات العلمية المختلفة تفكيكاً، أو تركيباً، أو تقويماً، فإذا كان الإشكال تركيبية منغلقة قام المنهج التحليلي بتفكيكها، وإرجاع العناصر إلى أصولها، وإذا كان الإشكال عناصر مشتتة فإنه يقوم بدراسة طبيعتها، ووظائفها ليركب منها نظرية ما. "أبجديات البحث في العلوم الشرعية" د/ فريد الأنصاري، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، الطبعة الأولى ١٩٩٧م (ص ٩٦).

(٣) المنهج التاريخي يعرف بأنه ذلك البحث الذي يصف ويسجل ما مضى من وقائع وأحداث الماضي، ويدرسها ويفسرها على أسس علمية منهجية ودقيقة؛ بقصد التوصل إلى حقائق ومعلومات، أو تعميمات تساعدنا في فهم الحاضر على ضوء الماضي، والتنبؤ بالمستقبل. "مناهج البحث العلمي"، تأليف د/ محمد سرحان المحمودي، طبعة دار الكتب، صنعاء، اليمن، الطبعة الثالثة لسنة ١٤٤١هـ / ٢٠٢١م (ص٣٦).

وذلك لسرد الأحداث التاريخية، وترتيبها ترتيباً زمنياً وتفسيرها.

*** أهداف البحث:**

يهدف هذا البحث إلى بيان قيمة التشارك والتعاون في أداء الأعمال، وكيف أن التشارك والتعاون يكون سبب رئيس في إنجاح العمل والبلوغ به إلى غايته، وتحقيق الهدف المنشود منه بفضل الله تعالى، وليس هناك أعظم من الهجرة النبوية لبيان قيمة التشارك والتعاون، إذ هي النموذج الذي يحتذي به في هذا الأمر، فلذلك جعلتها عنواناً لبحثي المتواضع؛ لأَسْتَلْهِمَ منها النور والبركة، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

*** حدود البحث:**

أتناول في هذا البحث التعريف بالعمل التشاركي، وأهميته، وضوابطه، وذكر بعض النماذج له من خلال السيرة النبوية، وعوامل نجاحه التي أبرزتها الهجرة النبوية؛ حيثُ إن السيرة النبوية المطهرة كفيلة وكافية في بيان العوامل والأطر والضوابط المؤدية إلى نجاح الأعمال التشاركية لكل من يُقْدِم على المشاركة في مثل هذه الأعمال القيِّمَة، ذات النفع العام.

خطة البحث

اقتضت طبيعة البحث أن يشتمل على مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

*** أما المقدمة :**

فتشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختياري لهذا الموضوع، ومشكلة البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وأهداف البحث، وحدود البحث.

*** وأما التمهيد،** فأتناول فيه الآتي:

- نبذة موجزة عن الهجرة النبوية المباركة.
- دعوة السنة النبوية إلى العمل، وبيان فضله.

وأما المبحث الأول: فيشتمل على التَّعريفِ بالعملِ التَّشَارُكي، وأهميته وفوائده، وضوابطه، وبعض نماذجه من خلال السيرة النبوية المباركة.

وفيه أربعة مطالب:

- **المطلب الأول:** التَّعريفُ بالعملِ التَّشَارُكي.
- **المطلب الثاني:** أهميةُ العملِ التَّشَارُكي، وفائدته من خلال السِّيرة النَّبوية.
- **المطلب الثالث:** ضوابطُ العملِ التَّشَارُكي من خلال السِّيرة النَّبوية.
- **المطلب الرابع:** نماذج من العملِ التَّشَارُكي من السِّيرةِ النَّبوية.

وأما المبحث الثاني: (عوامل نجاح الهجرة النبوية المباركة، باعتبارها عمل تَشَارُكِي).

ويتضمن أربعة مطالب:

- **المطلب الأول:** (العامل الأول: كمالُ التَّوَكُّلِ علَى اللهِ تَعَالى، واليقِين في نصْرِه وتأْييدِه).
- **المطلب الثاني:** (العامل الثاني: التَّخْطِيطُ الجيّد).
- **المطلب الثالث:** (العامل الثالث: التزامُ السِّرّيةِ التَّامّة).
- **المطلب الرابع:** (العامل الرابع: إعلاءُ روْح التَّعاونِ بينَ المشَاركِينَ فِي الهِجْرة).

* طريقة عملي في البحث، وهي كالتالي:

١- كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني من مصحف المدينة المنورة، مع ذكر اسم السورة، ورقم الآية.

٢- جمع الأحاديث النبوية، وآثار الصحابة ﷺ المتعلقة بالموضوع، وكتابتها وضبطها بالشَّكل.

٣- تخريج الأحاديث، والآثار، والأقوال الواردة في البحث، والحكم على أسانيدها إن لم تكن في الصحيحين، وسيكون عملي في التخريج والحكم على الأسانيد على النحو التالي:

- أُرَتب كتب التخريج على الأصحية كالتالي (صحيح الإمام البخاري، صحيح الإمام مسلم، سنن الإمام أبي داود، جامع الإمام الترمذي، سنن الإمام النسائي، سنن الإمام ابن ماجه)، وباقي الكتب على حسب الوفيات.
- إذا كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما أكتفي بالتخريج منهما، إلا إذا كان هناك زيادة أو اختلاف في لفظ الحديث عند غيرهما لاسيما التي تتعلق بحكم من الأحكام فإنني سأقوم بالحكم عليها.
- إذا لم يكن الحديث في الصحيحين، وحكم عليه بعض أئمة هذا الشأن اعتمدتُ حكمه ما لم يعارضه إمام آخر في الحكم على الحديث، فإن عارضه إمامٌ آخر، أو كان الحديث في غير الصحيحين ولم يحكم عليه أحد الأئمة، قمتُ بدراسة الإسناد خارج البحث حَسْب قواعد أئمة الجرح والتعديل، وأكتفي بذكر التخريج والحكم الإجمالي عليه داخل البحث، منعاً للإطالة، ولمناسبته لموضوع البحث.
- إذا لم يكن الحديث في الصحيحين، ووجد في باقي الكتب الستة بإسنادٍ مقبول (صحيحاً أو حسناً) اكتفيتُ بالتخريج منها،وإلا توسعت في التخريج لعل الحديث يكون ثابتاً عند غيرهم من طريقٍ آخر.

- إذا كان الحديثُ صحيحاً أو حسناً عند عالمٍ من العلماء اكتفيتُ بالحكم عليه من خلال إسناده.
- إذا تكرر الحديث في أكثر من موضع، اكتفيتُ بتخريجه من أول موضع، ولا أستوعب في التخريج إلا عند الحاجة.
- إذا كان الحديث في الكتب الستة المشهورة (صحيح الإمام البخاري، صحيح الإمام مسلم، سنن الإمام أبي داود، جامع الإمام الترمذي، سنن الإمام النسائي، سنن الإمام ابن ماجه) أو في مسند الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ أطلقتُ ولم أقيد، فأقولُ مثلاً أخرجه البخاري وأعني به صحيح الإمام البخاري وهكذا، وأخرجه أحمد وأعني به المسند، وإذا كان في غيرها قَيَّدتُ ذلك بذكر اسم الكتاب.
- إذا قلتُ (أخرجه النسائي) فإنما أعني به السنن الصغرى له (المجتبى)، وإذا كان الحديث في السنن الكبرى للنسائي بينتُ ذلك.

١- بيان الألفاظ الغريبة من خلال الرجوع إلى كتب الغريب، واللغة، والشروح ككتاب (النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير)، و (لسان العرب، لابن منظور)، و (فتح الباري، لابن حجر)، وغيرها.

٢- الضبط بالشَّكل أو الحروف لما قد يُشْكل من الألفاظ والأسماء والأنساب، وذلك من خلال الرجوع إلى المصادر المعتبرة في ذلك ككتاب (الأنساب، للسمعاني)، و(اللباب في تهذيب الأنساب، لابن الأثير)، و (لب اللباب، للسيوطي)، وإن لم أجد أعتمد على كتب التراجم.

٣- كلمة (قلتُ) بدون ذكر اسم القائل هي من كلام الباحث، وإن كانت من كلام أحد العلماء بينتُ ذلك.

٤- التعريف بالمواقع والبلدان والأماكن الواردة في الأحاديث من خلال الرجوع لكتب البلدان المصنفة قديماً وحديثاً، ككتاب (البلدان، لأحمد بن إسحاق اليعقوبي

(المتوفى: بعد ٢٩٢هـ))، وكتاب (معجم البلدان، لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ))، وغيرهما.

٥- أعتمد على طبعة واحدة للمصدر أو المرجع كما هو مثبت في فهرس المصادر والمراجع، وإن تعددت الطبعات بينتُ ذلك في الحاشية.

*** وأما الخاتمة:**

فتشتمل على أهم نتائج البحث التي توصلت إليها والتوصيات والمقترحات، وفهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ومولانا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمهيد

(نَبْذةٌ مُوْجزةٌ عنْ الهِجْرةِ النَّبويَّةِ المُبَارَكَة)

فلقد أوحى اللهُ تعالى إلى رسوله سيدنا مُحَمَّد ﷺ بالرسالة، وأمره بتبليغها، واقتضت الحكمة الإلهية أن تكون الدعوة سرّية في بداية الأمر؛ حفاظاً عليها من الهلاك، وصيانةً لها من الضياع – وهي ما زالت في مهدها — حيثُ شَرَعَ النَّبيُّ ﷺ في الدعوة إلى الله تعالى سراً بين أهله وأقاربه وأصدقائه المقربين، وهي المرحلة التي أعقبت نزول قول الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ ﴾[١]، واستمرت الدعوة السِّرية قرابة الثلاث سنوات إلى أن جاء أمر الله تعالى لرسوله ﷺ بالجهر بالدعوة، فأنزل الله تعالى قوله الكريم ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٩٤ ﴾[٢]، وقوله تعالى ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤ ﴾[٣]، فَشَرَعَ النَّبيُّ ﷺ في الجهر بالدعوة امتثالاً لأمر ربه ﷻ، فقد أخرجَ الإمامُ البخاريُ (رحمه الله) في صحيحه بسنده من حديثِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤ ﴾[٤]، صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: «يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ» – لِبُطُونِ قُرَيْشٍ – حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ» فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ اليَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَنَزَلَتْ: ﴿ تَبَّتْ

(١) {سورة المدثر: الآية ١ – ٢}.

(٢) {سورة الحجر: الآية ٩٤}.

(٣) {سورة الشعراء: الآية ٢١٤}.

(٤) سبق بيانها.

يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ ﴾ [1] [2].

وبهذه المرحلة أخذت الدعوة منحى آخراً وهو الدعوة في العلن، تحقيقاً للغرض والهدف الذي جاءت من أجله الدعوة، " فرسول الله ﷺ استمر يدعو إلى الله تعالى ليلاً ونهاراً، وسراً وجهاراً، لا يصرفه عن ذلك صارف ولا يرده عن ذلك راد، ولا يصده عنه ذلك صاد، يتبع الناس في أنديتهم، ومجامعهم ومحافلهم وفي المواسم، ومواقف الحج. يدعو من لقيه من حر وعبد وضعيف وقوي، وغني وفقير، جميع الخلق في ذلك عنده شرع سواء، وتسلط عليه وعلى من اتبعه من آحاد الناس من ضعفائهم الأشداء الأقوياء من مشركي قريش بالأذية القولية والفعلية.[3]

والنَّاظر في المرحلة المكية قبل الهجرة النبوية، يرى أنها كانت صفحة مُؤلِمة على النفس، تعرَّض النَّبيُّ ﷺ وأصحابه فيها لأشد أنواع الإيذاء على يد سفهاء قومه من المشركين الذين ناصبوه العَدَاء، فحاربوه ووقفوا في طريق دعوته، وهذا مما اقتضته حِكمة الله تعالى، وهو أنْ يُبْتَلي النَّبيُّ ﷺ كغيره من الأنبياء ــ عليهم الصلاة السلام ــ بأنواعٍ شتَّى من الإيذاء على يد أعدائه؛ ليكون أسوةً لأتباعه في الصبر على الإيذاء في سبيل تبليغ رسالة الله تعالى.

وقد تعدَّدت وسائل المشركين القولية والفعلية في محاربة النَّبيّ ﷺ ودعوته، ولم يسلم النَّبي ﷺ من إيذائهم الجسدي، فقد أخرج الإمام البخاريُ (رحمه الله) في صحيحه بسنده عن عُرْوَةَ بْن الزُّبَيْرِ، قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو ﷺ، عَنْ أَشَدِّ مَا صَنَعَ المُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: رَأَيْتُ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ، جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، " فَوَضَعَ رِدَاءَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقًا شَدِيدًا، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ حَتَّى دَفَعَهُ عَنْهُ، فَقَالَ:

---

(١) {سورة المسد: الآية: ١،٢}.

(٢) أخرجه البخاري في: كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ قوله تعالى: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ} ... (٦/ ١١١)ح ٤٧٧٠، طبعة: دار طوق النجاة، الأولى، لسنة ١٤٢٢هـ.

(٣) ما بين المعكوفتين من كتاب "البداية والنهاية"، لابن كثير (٣/ ٤٠،٤١).

﴿ أَنَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾[١] .[٢]

كما لم يسلمْ الصحابةُ ﷺ من إيذاء المشركين أيضاً، فقد نالوا منهم، وأذاقوهم أشد أنواع العذاب؛ ليردوهم عن دينهم، فقد أخرج الإمامُ البخاريُ (رحمه الله) بسندهِ من حديثِ خَبَّابٍ ﷺ قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً، وَهُوَ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ وَقَدْ لَقِينَا مِنَ المشْرِكِينَ شِدَّةً، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ، فَقَعَدَ وَهُوَ مُحْمَرٌّ وَجْهُهُ، فَقَالَ:«لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ لَيُمْشَطُ بِمِشَاطِ الحَدِيدِ، مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ، مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُوضَعُ المِنْشَارُ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَيُشَقُّ بِاثْنَيْنِ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَلَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، مَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ».[٣]

وأخرج الإمام ابن ماجه (رحمه الله) بسنده من حديث عبد الله بن مسعودٍ ﷺ قَالَ:" كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةٌ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلالٌ، وَالْمِقْدَادُ، فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمْ الْمُشْرِكُونَ، وَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ، وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ، فَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَاتَاهُمْ[٤] عَلَى مَا أَرَادُوا إِلَّا بِلالًا، فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللَّهِ، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ، فَأَخَذُوهُ، فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ، فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي

(١) {سورة غافر، من الآية ٢٨}.

(٢) أخرجه البخاري في: كتاب أصحاب النبي ﷺ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا» (٥/ ١٠)ح ٣٦٧٨.

(٣) أخرجه البخاري في: كتاب مناقبِ الأنصار، بَابُ مَا لَقِيَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ ﷺ مِنَ المشْرِكِينَ بِمَكَّةَ (٥/ ٤٥)ح ٣٨٥٢.

(٤) يقال: وآتيته على الأمر مؤاتاة، إذا وافقته، وآتيته على الأمر: إذا وافقته، والمعنى: إلا وقد وافقهم على ما أرادوا من ترك إظهار الإسلام. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن مُحَمَّد بن علي الفيومي، طبعة: المكتبة العلمية – بيروت (١/ ٤).

شِعَابِ مَكَّةَ وَهُوَ يَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ ".[١]

وفي المقابل، وفي خِضَمّ هذه الأحداث، ووسط هذا الإيذاء الشديد للنَّبيّ ﷺ وأتباعه لم تُعْدَم الأرض خيرها، ولا الصادقين من أبنائها، فكان أهل المدينة من الأنصار ﷺ على قدر الحدث، وعلى أتم الاستعداد أن يبذلوا كلَ ما يملكون من أنفس وأولاد وأموال في سبيل نيل شرف احتضان الدعوة الإسلامية، والفوز بهجرة النَّبيّ ﷺ إليهم، وكان هذا نتاج ما بايع عليه الأنصارُ رسولَ اللهِ ﷺ في بيعة العقبة الأولى والثانية، " ففي السنة الحادية عشرة من البعثة النبوية، قدم إلى مكّة ستة رجال من الأوس والخزرج للحج، فعرض الرسول ﷺ نفسه عليهم فاستجابوا لدعوة الرسول ﷺ، وبعد سنة عادوا في جماعة من قومهم تضم اثني عشر رجلا بايعوا الرسول ﷺ بالعقبة "[٢]، "وتجاوبت أصداء الدعوة المحمدية فى ربوع يثرب وتذاكروها مذاكرة من لا يتنازعون فى شرف تمسه أو عصبية جاهلية ينصرونها، ولكن تجاوب من يطلبون الحق، ومن صغت أفئدتهم إليه، ومن يرجون من الاستجابة زوال الفرقة التى تقسمهم، وتجعلهم فى حرب مستمرة"[٣].

وفي السنة الثالثة عشرة للبعثة، قدِمَ وفدٌ من الأنصار للحج، وتواصلوا بالرسول ﷺ سراً، وتواعدوا على اللقاء ليلاً بالعقبة، وكان عددهم ثلاثة وسبعين رجلاً، ومعهم امرأتان وهما: نُسَيبة بنت كعب من بني النجار، وأسماء بنت عمرو من بني سَلمة – رضي الله عنهما – ، ووافقهم رسول الله ﷺ هناك، فبايعوا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة،

(١) أخرجه ابن ماجه في: أبواب السنة، باب فِي فَضَائِلِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ [فضائل بلال ﷺ](١/ ١٠٥)ح ١٥٠، طبعة: دار الرسالة العالمية ـــ الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م، والحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة ﷺ، باب ذِكْرِ بِلَالِ بْنِ رَبَاحٍ مُؤَذِّنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (٣/ ٣٢٠)ح ٥٢٣٨، وقال: «صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، ووافقه الذهبي.

(٢) ما بين المعكوفتين من سيرة ابن هشام، طبعة: مصطفى الحلبي ـــ مصر ـــ الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥ م (١/ ٤٢٨، ٤٢٩)، وينظر فيه تفصيل بيعة العقبة الأولى.

(٣) خاتم النبيين ﷺ، للشيخ مُحَمَّد أبو زهرة، طبعة: دار الفكر العربي – القاهرة، ١٤٢٥ هـ (١/ ٤٣٧).

والنفقة في العسر واليسر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونصرة الدين.(١)

وهكذا جاءت البيعة الثانية تتفق في جوهرها مع بيعة العقبة الأولى، فكل منهما إعلان عن الدخول في الإسلام أمام رسول الله ﷺ، وأخذ للمواثيق والعهود على السمع والطاعة والإخلاص لدين الله تعالى، والانصياع لأوامر رسوله ﷺ.(٢)

فالمدينة المنورة كانت قد بدأت تستقبل الإسلام، ودخل في دين الله عدد من أهل المدينة، وكان هذا الأمر مُهِمَّاً، وشجع رسول الله ﷺ على التوجه إلى المدينة المنورة بأمر الله وتوجيهه ﷻ وتدبيره، أضف إلى ذلك أنه في ذلك الوقت كان للمدينة دور أساسي باعتبارها مركزاً حضارياً من الناحية التجارية، ومن الناحية الزراعية، وكانت المدينة تعج بالحركة والنشاط، بالإضافة لكونها ملتقى القوافل التي كانت تمر من الشام إلى اليمن، ومن اليمن إلى الشام، وهذا أيضا جعلها مؤهلة أن تلعب دورا أساسيا بالنسبة لانتشار الدعوة الإسلامية.(٣)

مما سبق يتبين أنه كان من الصعب على النَّبِيّ ﷺ أن يُبَلِّغَ رسالة الله تعالى في ظل هذه الظروف السَّائِدة في مكة، وهذا المناخ المشحون بالعداء للدعوة الإسلامية، والذي لم يدَّخر كفار قريش شيئاً من الإيذاء إلا وألحقوه بمن اعتنق هذا الدين، وآمن بهذه الرسالة المباركة، وفي ذات الوقت كانت المدينة قد تهيأت لاستقبال النَّبِيّ ﷺ وأتباعه، وصارت أرضًا خصبة لاحتضان الدعوة الإسلامية، فكان الإذن من الله تعالى لنبيه ﷺ بالهجرة المباركة إلى المدينة المنورة.

(١) ينظر تفصيل بيعة العقبة الثانية في: سيرة ابن هشام (١/ ٤٤٠، ٤٤١،٤٤٢).

(٢) فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، للشيخ مُحَمَّد سَعيد رَمضان البوطي، طبعة: دار الفكر ــ دمشق ــ الطبعة: الخامسة والعشرون – ١٤٢٦ هـ (ص: ١٢٤).

(٣) مقال للدكتور/ مُحَمَّد عبده يماني، بعنوان " قصة الهجرة.. نقلة استراتيجية وتخطيط دقيق بعزيمة وتوكل "، صحيفة عكاظ، منشور بتاريخ يوم الثلاثاء ٣٠ ديسمبر ٢٠٠٨ ".

(دعْوةُ السُّنَّةُ النَّبويّةُ إلَى العَمَلِ، وَبيانِ فَضْلِه)

إنَّ من أهمِّ القيم التي تقوم عليها المجتمعات، وَتُبْنَى على إِثْرِها الحضارات قيمة العمل، فليس هناك من حضارة كبيرة على مر التاريخ إلا وكان أهلها يعملون بجِدٍ واجتهاد، ويقومون بأداء المهمة التي من أجلها خلقهم الله تعالى – بعد عبادته سبحانه وتعالى – ألا وهي مهمة إعمار الأرض، قال الله تعالى: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾[1]،" أي طلب منكم أن تُعَمِّرُوها، فكل حركة في الحياة تؤدي إلى عمار الأرض فهي من العبادة "[2]، وهذا يُبيِّنُ قيمة العمل بالنسبة للمجتمعات، حيثُ يعدُّ العمل قيمة أساسية من القيم الاجتماعية والحضارية التي يُقَاسُ بها مدى تقدم الأمم، ورُقِـيِّها، فالعمل وسيلة لتحقيق الاستقرار والتقدم والبناء، والمجتمعات العاملة هي المتقدمة، ولها السبق بين المجتمعات الأخرى، فضلاً عن انتفاع الأفراد بالعمل، فهو الوسيلة التي يحافظ بها الأفراد على استقرارهم، ويساعدهم على استمرار معاشهم، والحصول على كافة احتياجاتهم، وتحقيق ذواتهم.

ولهذا دعت السنة النبوية المطهرة في أحاديث كثيرة إلى العمل، ورَغَّبَتْ فيه؛ أخذًا بأسباب الحياة، وأعْلَتْ من شأن اليد العاملة، ومن هذه الأحاديث ما أخرجه الشيخان البخاري ومسلم (رحمهما الله) في صحيحيهما بسنديهما من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ».[3]

---

(١) {سورة هود: من الآية ٦١}.

(٢) ما بين المعكوفتين من تفسير الإمام الشيخ/ مُحَمَّد متولي الشعراوي (رحمه الله) – الخواطر (٢/ ١٠٨٩).

(٣) أخرجه البخاري في: كِتَاب المزَارَعَة، بَابُ فَضْلِ الزَّرْعِ وَالغَرْسِ إِذَا أُكِلَ مِنْهُ (٣/ ١٠٣)ح ٢٣٢٠، ومسلم، كِتَابُ الْمُسَاقَاةِ، بَابُ فَضْلِ الْغَرْسِ وَالزَّرْعِ (٣/ ١١٨٩)ح ١٥٥٣ كلاهما بلفظه.

قال الإمام العلامة ابن بطال[١](رحمه الله) مُعَلِّقاً على هذا الحديث:" فيه الحض على عمارة الأرض لتعيش نفسه أو من يأتى بعده ممن يؤجر فيه ".[٢]

ومن الأحاديث التي إلى العمل، ورغَّبتْ فيه: ما أخرجه الإمام البخاري (رحمه الله) في صحيحه بسنده من حديث المِقْدَامِ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ».[٣]

ففي هذا الحديث الشريف دعوة للعمل، حتى وإن توفر المال والغنى والثروة لدى الإنسان، فهذا نبي الله داود عليه السلام مع ما حباه الله تعالى من ملك وجاه وغنى لم يستنكف عن العمل بيده، ليشجع الناس على المسارعة للعمل، فالأيدي العاملة المنتجة هي الثروة الحقيقية للأمم والشعوب، والإسلام هو دين العمل والكفاح والانتاج.

كما أن العمل يورث العزة والكرامة بين الناس والأمم، ففي الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري في صحيحه من حديث الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا، فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ».[٤]

---

(١) هو الإمام العلاَّمة أبو الحسن علي بن خَلَف بن عبد الملِك بن بَطَّال البَكْرِي القُرْطُبِي. كان من أهل العلم والمعرفة والفهم، مليح الخط، حسن الضبط، عني بالحديث عناية تامة، وشرح صحيح البُخَارِي في عدة مجلدات، ورواه الناس عنه. توفي سنة تسع وأربعين وأربعمائة. تاريخ الإسلام، لشمس الدين لذهبي ، طبعة: دار الكتاب العربي، بيروت (٣٠/ ٢٣٣، ٢٣٤)، والوافي بالوفيات، لصلاح الدين الصفدي، طبعة: دار إحياء التراث – بيروت (٢١/ ٥٦)، والأعلام، للزركلي، طبعة: دار العلم للملايين (٤/ ٢٨٥).

(٢) شرح صحيح البخاري، لابن بطال، دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م (٦/ ٤٥٦).

(٣) أخرجه البخاري في: كِتَابُ البُيُوعِ، بَابُ كَسْبِ الرَّجُلِ وَعَمَلِهِ بِيَدِهِ (٣/ ٥٧)ح ٢٠٧٢.

(٤) أخرجه البخاري في: كتاب الزَّكاة، بَابُ الِاسْتِعْفَافِ عَنِ المَسْأَلَة (٢/ ١٢٣)ح ١٤٧١.

ومن الأحاديث التي أعْلَتْ من شأن العمل أيضاً، ما أخرجه الإمام أحمد (رحمه الله) في مسنده بسنده من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنْ قَامَتْ عَلَى أَحَدِكُمُ الْقِيَامَةُ، وَفِي يَدِهِ فَسِيلَةٌ فَلْيَغْرِسْهَا».[(١)]

قال الإمام المُنَاوِي[(٢)](رحمه الله) في التعليق على هذا الحديث:" والحاصل أنه مبالغة في الحث على غرس الأشجار وحفر الأنهار لتبقى هذه الدار عامرة إلى آخر أمدها المحدود المعدود المعلوم عند خالقها فكما غرس لك غيرك فانتفعت به فاغرس لمن يجيء بعدك لينتفع وإن لم يبق من الدنيا إلا صبابة[(٣)] ".[(٤)]

كما بينت السنة النبوية أيضاً فضل العمل النافع والصالح، وأنه سبب من أسباب النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة، وأنه قربة إلى الله تعالى، وباب من أبواب الأجر، فبإمكان الإنسان المسلم أن يتخذ من عمله وسعيه طريقاً للوصول إلى رضوان الله تعالى، ففي الحديث الصحيح من حديث كَعْبِ بْنِ عُجْرَة ﷺ، قَالَ: مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ، فَرَأَى أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ جَلَدِهِ وَنَشَاطِهِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ: لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللهِ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يُعِفُّهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وَمُفَاخَرَةً فَهُوَ فِي سَبِيلِ

(١) أخرجه أحمد (٢٠/ ٢٥١)ح ١٢٩٠٢ بإسناد صحيح.

(٢) هو الإمام العلامة زين الدين مُحَمَّد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري. فقيه شافعي، من كبار العلماء بالدين والفنون. أخذ الفقه عن شمس الدين الرملي وغيره، والحديث والأدب وغيرها عن مشايخ عصره، وله نحو ثمانين كتاباً، منها كتاب "فيض القدير في شرح الجامع الصغير"، و"الجامع الأزهر من حديث النبي الأنور"، و" الروض الباسم في شمائل المصطفى أبي القاسم"، وغيرها. عاش في القاهرة، وتوفي بها سنة إحدى وثلاثين وألف. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، لمحمد أمين المحبي (٢/ ١٩٣)، والأعلام للزركلي (٦/ ٢٠٤)، ومعجم المؤلفين، لعمر كحالة (٥/ ٢٢٠).

(٣) الصَّبَابَةُ البَقِيَّة الْيَسِيرَةُ تَبْقَى فِي الإِناءِ مِنَ الشَّرَابِ. لسان العرب، لابن منظور (١/ ٥١٦).

(٤) فيض القدير، للمناوي، طبعة المكتبة التجارية الكبرى – مصر (٣/ ٣٠).

الشَّيْطَانِ».[١]

كما يمكن للإنسان المسلم أن يتخذ من عمله وسعيه سبيلاً لتحصيل الثواب والأجر من الله تعالى، كما ثبت عن النبي ﷺ في حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ السابق، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ».[٢]

كما أن العمل من دأب الأنبياء والمرسلين، وسنن الرسل المكرمين، فقد أخرج الإمام البخاري (رحمه الله) في صحيحه بسنده من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الغَنَمَ»، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ».[٣]

بناءً على ذلك يتبين المكانة العليا التي أولتها السنة النبوية للعمل، وكيف أنه لا غنى عنه؛ لاستقامة الحياة، وإقامة الحضارات، وتقدم المجتمعات، وسعادة الأفراد.

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٩/ ١٢٩)ح ٢٨٢ بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في: كِتَاب المَزَارَعَة، بَابُ فَضْلِ الزَّرْعِ وَالغَرْسِ إِذَا أُكِلَ مِنْهُ (٣/ ١٠٣)ح ٢٣٢٠، ومسلم، كِتَابُ الْمُسَاقَاةِ، بَابُ فَضْلِ الْغَرْسِ وَالزَّرْعِ (٣/ ١١٨٩)ح ١٥٥٣ كلاهما بلفظه.

(٣) أخرجه البخاري في: كِتَابُ الإِجَارَة، بَابُ رَعْيِ الغَنَمِ عَلَى قَرَارِيط (٣/ ٨٨)ح ٢٢٦٢.

المبحث الأول

(التَّعريفُ بالعملِ التَّشَارُكي، وأهميته وفائدته، وضوابطه، وبعض نماذجه من خلال السيرة النبوية المباركة)

وفيه أربعة مطالب:

- **المطلب الأول:** التَّعريفُ بالعملِ التَّشَارُكي.
- **المطلب الثاني:** أهميةُ العملِ التَّشَارُكي، وفائدته من خلال السِّيرة النَّبوية.
- **المطلب الثالث:** ضوابطُ العملِ التَّشَارُكي من خلال السِّيرة النَّبوية.
- **المطلب الرابع:** نماذج من العملِ التَّشَارُكي من السِّيرةِ النَّبوية.

المطلب الأول
(التَّعريفُ بالعملِ التَّشَارُكي)

العَمَلُ التَّشَارُكي مركب إضافي مكون من كلمتين (العَمَل) و(التَّشَارُكي)، وللوقوف على معنى هذا المصطلح لا بد من التعريف بجزأيه أولاً، ثم التعريف بالمركب الإضافي (العَمَل التَّشَارُكي):

& أولاً: تعريف العمل في اللغة، والاصطلاح:

* **العَمَل لغةً:** مصدر عَمِلَ يعمَل عمَلاً، وهو المِهنة، وَأَيْضًا الفِعلُ، وَالْجَمْعُ أَعْمَال، يُقَال: عَمِلَ عَمَلًا، وأَعْمَلَه غَيرهُ واسْتَعْمَلَه، واعْتَمَلَ الرجلُ: عَمِلَ بِنَفْسِهِ، والعمَل: حَرَكَةُ البدَنِ بكُلِّه أَو بَعْضِه، وربّما أُطْلِقَ على حَرَكَةِ النَّفسِ، فَهُوَ إحداثُ أمرٍ قَولاً كانَ أَو فِعلاً، بالجارِحَةِ، أَو القَلب.

وَفِي الحديثِ: «**أَنَّهُ ﷺ دَفَعَ إِلَى يَهُودِ خَيْبَرَ نَخْلَ خَيْبَرَ وَأَرْضَهَا، عَلَى أَنْ يَعْتَمِلُوهَا مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَلِرَسُولِ اللهِ ﷺ شَطْرُ ثَمَرِهَا**»(١)، قَالَ ابنُ الْأَثِير (رحمه الله): "الاعْتِمال: افْتِعالٌ من العمَل، أَي أَنّهم يقومُونَ بِمَا تحتاجُ إِلَيْهِ من عِمارَةٍ وزِراعةٍ وتَلقيحٍ وحِراسةٍ، وَنَحْو ذَلِك"، وأَعْمَلَ فلانٌ ذِهنَه فِي كَذَا وَكَذَا: إِذا دَبَّرَه بفَهمِه. وأَعْمَلَ رَأْيَه وآلَتَه ولِسانَه واسْتَعملَه: عَمِلَ بِهِ فَهُوَ مُستعْمَلٌ، والعَامِل: هُوَ الَّذِي يتَولَّى أُمور الرَّجُلِ فِي مالِه ومِلْكه وعَمَلِه، وَمِنْهُ قِيلَ لِلَّذِي يَسْتَخْرج الزَّكاةَ: عَامِل.(٢)

فالعمل من حيث المفهوم اللغوي يعني: كل مجهود يبذله الفرد أو مجموعة عن قصد؛

(١) أخرجه مسلم في: في كِتَاب الْمُسَاقَاةِ، بَابُ الْمُسَاقَاةِ، وَالْمُعَامَلَةِ بِجُزْءٍ مِنَ الثَّمَرِ وَالزَّرْعِ (٣/ ١١٨٧)ح١٥٥١ من حديث ابن عمر ﷺ.

(٢) لسان العرب، لابن منظور، طبعة: دار صادر – بيروت _ الثالثة – ١٤١٤ هـ (١١/ ٤٧٥)، وجمهرة اللغة، لأبي بكر الأزدي، ط: دار العلم للملايين بيروت، الأولى، ١٩٨٧م (٢/ ٩٤٩) والقاموس المحيط، للفيروزآبادى (ص: ١٠٣٦)، والنهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين ابن الأثير (٣/ ٣٠٠) مادة (عَمِلَ).

للحصول على منفعة محددة، أو فائدة معينة، بِغَضِ النظر عن نوع الهدف، فهو أعم من السعي على الرزق.

* **واصطلاحاً: يُعَرَّف العمل في الاصطلاح بأنه:** كل جهدٍ مشروع مقصود ومنظم، بدنياً كان أو ذهنياً، أو خليطاً منهما، يبذله الإنسان لإيجاد منفعة اقتصادية أو معنوية.(١)

& ثانياً: تعريفُ التَّشَارُك في اللغة، والاصطلاح:

* **التَّشَارُك لغةً:** أصله من الفعل الثلاثي (شَرَكَ)، والشِّرْكَةُ والشَّرِكة سَوَاءٌ: وهي مُخَالَطَةُ الشَّرِيكَيْنِ. يُقَالُ: اشترَكنا بِمَعْنَى تَشارَكنا، وَقَدِ اشْتَرَكَ الرَّجُلَانِ وتَشارَكا وشارَك أَحدُهما الْآخَرَ، والاشْتِراكُ هُنَا بمَعْنَى التَّشارُك. قَالَ الأَزهري: يُقَالُ شَرِيك وأَشْراك كَمَا يُقَالُ يَتِيمٌ وأَيتام، وَنَصِيرٌ وأَنصار، وَالْمَرْأَةُ شَرِيكة وَالنِّسَاءُ شَرائك. وَشَارَكْتُ فُلَانًا: صِرْتُ شَرِيكَهُ، واشْتركنا وتَشاركنا فِي كَذَا وشَرِكْتُه فِي الْبَيْعِ وَالْمِيرَاثِ أَشْرَكُه شَرِكَةً، وَالِاسْمُ الشِّرْك؛ قَالَ الْجَعْدِيُّ: وشارَكْنا قُرَيْشاً فِي تُقاها، ... وَفِي أَحْسابها شِرْكَ العِنان(٢)

ويُقَالُ: شَرِكْتُهُ فِي الْأَمْرِ أَشْرَكُهُ شِرْكَةً، وشَارَكْتُهُ إِذَا صِرْت شَرِيكَهُ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ بَيْنَ اثْنَيْنِ لَا يَنْفَرِدُ بِهِ أَحَدُهُمَا، ومنه قول الله تعالى ﴿ **وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي** ﴿٣٢﴾ ﴾(٣)، أي اجْعَلْهُ شَرِيكِي فيه، وفي الحديث «**مَنْ أَعْتَق شِرْكاً لَهُ فِي عَبْدٍ**»(٤)أَيْ: حِصَّة وَنَصِيبًا،

(١) عناصر الانتاج في الاقتصاد الإسلامي، د/ صالح حميد العلي ، طبعة: دار اليمامة للطبع ولنشر والتوزيع ــ سوريا ــ دمشق ــ الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م (ص ١٩٧،١٩٨)، وأصله رسالة قُدِّمت لنيل درجة الماجستير في الفقه الإسلامي والاقتصاد.

(٢) البيت من البحر الوافر، وهو للنابغة الجعدي في ديوانه (ص ١٦٤). "المنجد في اللغة"، لعلي بن الحسن الهُنائي الأزدي، طبعة: عالم الكتب، القاهرة ــ الطبعة: الثانية، ١٩٨٨ م (ص: ٢٧١).

(٣) {سورة طه، الآية: ٣٢}.

(٤) جزء من حديث أخرجه البخاري في: كتاب العتق، بَابُ إِذَا أَعْتَقَ عَبْدًا بَيْنَ اثْنَيْنِ، أَوْ أَمَةً بَيْنَ الشُّرَكَاءِ (٣/ ١٤٤)ح ٢٥٢٢، ومسلم في: كتاب الأيمان، بَابُ مَنْ أَعْتَقَ شِرْكًا لَهُ فِي عَبْدٍ (٣/ ١٢٨٦)ح١٥٠١.

وسماه شركاً للاشتراك الذي فيه.[١]

* **واصطلاحاً**: التَّشَارُك مرادف للتَّعاون، وقد عُرِّفَ بأنه: الاجتماع على أمر ما خيراً كان أو شراً، بدافع المنفعة المشتركة.[٢]

قلتُ (أي الباحث): وينضبط الاجتماع والتعاون في عرف الإسلام بالاجتماع على الخير والبر والتقوى فقط كما قال الله تعالى ﴿ **وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ** ﴾[٣].

& ثالثاً: تعريفُ (العمل التَّشَارُكي) كمركب إضافي:

يمكن تعريفه بأنه: كل نشاط أو عمل نشأ عن اجتماع إنساني أياً كان نوع هذا الاجتماع، فهو نتيجة لاجتماع الأفراد بعضهم مع بعض في جماعة أو مجتمع ما، واحتكاك أفكارهم، وتقابل وجدانهم ونزعاتهم، مع ما يحيط بهم من ظروف ويكتنفهم من أحوال وشؤون، وليس نتيجة لتفكير أو سلوك فردي.[٤]

ويمكن تعريفه أيضاً بأنه: جهد منظم وموزع على مجموعة من الأفراد يعملون معاً لأجل

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس، طبعة: دار الفكر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م (٣/ ٢٦٥)، ولسان العرب، لابن منظور (١٠/ ٤٤٨، ٤٤٩)، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر الجوهري، طبعة: دار العلم للملايين ببيروت _ الرابعة ١٤٠٧ هـ (٤/ ١٥٩٤)، والنهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين ابن الأثير، طبعة: المكتبة العلمية- بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م (٢/ ٤٦٦)، والقاموس المحيط، للفيروزآبادى، طبعة: الرسالة، بيروت _ الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م (ص: ٩٤٤)، وتاج العروس، للزَّبيدي، طبعة: دار الهداية (٢٧/ ٢٢٣)، مادة (شَرَكَ).

(٢) معجم مصطلحات العلوم الشرعية، إعداد مجموعة من الباحثين، الطبعة الثانية _ الرياض ١٤٣٩هـ _ ٢٠١٧م (١/٤٧٤).

(٣) {سورة المائدة، جزء من الآية ٢}.

(٤) موسوعة علم الاجتماع، د/ عبد المجيد لبصير، طبعة دار الهدى _ الجزائر ٢٠١٠م (ص ٣١٤).

تحقيق أهداف محددة ومشتركة.[١]

قلتُ (أي الباحث) ويمكن تعريف (العمل التَّشَارُكي) بأنه: كُلُ عملٍ اجْتمعَ عليه مجموعة من الأفراد، قاصدين انجازه، تجمعهم روابط معينة، ويهدفون إلى تحقيق أهداف محددة.

المطلب الثاني
(أهميةُ العملِ التَّشَارُكي، وفائدته من خلال السِّيرة النبوية)

اهتمتْ السُّنةُ النَّبويةُ بشكلٍ عام، والسِّيرةُ النَّبويةُ بشكلٍ خاص بالعملِ التَّشَارُكِي [الجماعي] اهتماماً بليغاً؛ لأهميته، وعظيم أثره، حيثُ دَعَتْ إليهِ، وَأَعْلَتْ من شأنه، ووعدتْ بالثَّوابِ العظيمِ لمن قامَ به ابتغاءَ وجه اللهِ تعالى، ويَظْهَرُ ذلك بجلاءٍ من خلالِ نُصوصِ السُّنةِ النَّبويةِ الوفيرة، التي حَثَّتْ عَلَى التَّشَارُكِ والتَّعَاونِ والاجْتماعِ قولًا وعملاً، وسيرة النَّبيّ ﷺ وحياته العملية مليئة بهذا النوع من الأعمال، حيثُ إنَّ التَّشَارُك والتَّعَاون والوحدة هو سر تقدم الأمم، ونهضتها، فإقامة الحضارات، وبناء الأوطان، وتحقيق الأهداف، وإنجاز الأعمال العظيمة لا يكون إلا من خلال التعاون والتَّشَارُك، والنهضة التعليمية والصناعية والاقتصادية والتجارية لن تتأتى إلا بالتشارك والتعاون بين أركان كلٍ منها، كما أنَّ التَّشَارُك والتَّعَاون يُشْعِر كل إنسان في مجتمعه بقيمته وأهميته وتأثيره في مجتمعه، ويُشْعِره أيضاً باحتياجه للآخرين، ومنْ خلالِ النَّظر في الأحاديثِ النَّبوية الشَّريفة الواردةِ في هذا الشَّأن، وسيرةِ النَّبي ﷺ المطهرة العملية يُمكن تلخيص أهمية العمل التَّشَارُكِي [الجماعي]، وفائدته فيما يلي:

(١) مقال للأستاذة أمل أناضولي، جريدة الاتحاد الإماراتية _ عدد الأحد ١٦ سبتمبر ٢٠١٢م.

١) مصدر للقوة، والعون من الله تعالى:

فالعمل التَّشاركي سبيل للفوز بمعونة الله تعالى وتوفيقه، ومصدر لاستلهام القوة والثبات منه سبحانه وتعالى، فبقدر ما يكون الإنسان قادرًا على التَّشَارُك والتَّعَاون والتَّواصل بشكل فعّال مع الآخرين، فإن ذلك يَمُدُهُ بالقوة، ويمكِّنه من تحقيق الأهداف أكثر مما يكون بمفرده، كما أنَّ العمل التَّشاركي يساعد في بناء العلاقات التي يمكن أن تكون مفيدة ونافعة في حياة الإنسان.

فلقد وعد الله تعالى العبد الذي يكون في معاونة أخيه بالعون والتوفيق منه سبحانه وتعالى، كما جاء على لسان نبيه الصَّادق ﷺ، فقد أخرج الإمام مسلم (رحمه الله) بسنده من حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ ...» الحديث.(١)

قَالَ الإمامُ ابنُ بطال (رحمه الله): أمر الله تعالى المؤمنين بالتَّعاون والتَّناصر فقال: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾(٢)، وقال ﷺ: «المؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»(٣)، «وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»(٤)، فهذه كلها وما شاكلها من حقوق المسلمين بعضهم على بعض مندوب إليها مرغب فيها.(٥)

(١) أخرجه مسلم في: كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَة، بَابُ فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ (٤/ ٢٠٧٤)ح ٢٦٩٩.

(٢) {سورة المائدة: من الآية ٢}.

(٣) أخرجه البخاري في: كتاب الصلاة، بَابُ تَشْبِيكِ الأَصَابِعِ فِي المسْجِدِ وَغَيْرِهِ (١/ ١٠٣)ح ٤٨١ واللفظ له، ومسلم في: كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ (٤/ ١٩٩٩)ح ٢٥٨٥.

(٤) جزء من الحديث السابق.

(٥) شرح صحيح البخارى لابن بطال (٥/ ٨٥).

وَقَالَ الإمامَ أبو المُظَفَّر الشَّيْبَانِي[١](رحمه الله): وقوله ﷺ: «وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»، هذا الإجمال لا يسع تفصيله إلا أن منه أن العبد إذا عزم على معاونة أخيه فينبغي أن لا يجبن عن إنفاذ قوله إيمانا بأن الله في عونه، ومنه أن رسول الله ﷺ لم يقل إن الله في عون العبد لحالة خاصة؛ بل ما دام العبد في عون أخيه؛ فإن الله في عون ذلك العبد المعين على الإطلاق".[٢]

قلتُ (أي الباحث): هذا الحديث الشريف دعوة صريحة للاجتماع والتعاون والتَّشَارُك في الخير، لتحصيل معية الله تعالى، حيث بيَّنَ النَّبيُّ ﷺ في الحديث أن الله تعالى يتولى إعانة من أعان أخاه، فينال الإنسان المُعِين لأخيه من عون الله تعالى ما لم يُحَصِّله بغير إعانته، إشارةً إلى أن الجزاء علي هذه المعونة من جنسها من العناية والمعونة الإلهية، وهذا من شأنه أن يعطي الإنسان المُعَاوِن لأخيه القوة والثبات والتوفيق من الله تعالى.

٢) هو السبيل إلى بناء الأوطان، والحفاظ عليها:

فالناظر في أي مجتمع إنساني ناجح في هذا العالم يرى بوضوح أنه لم يقم إلا من خلال اتحاد أفراده على النهوض بمجتمعهم، فالحضارات التي ساهمت في تطور العلوم الإنسانية والتكنولوجية وغيرها من العلوم كان أساسها العمل التَّشاركي الجماعي، فيتأكد لدى الناظر أن العمل التشاركي هو السبيل إلى بناء الأوطان، ونهضتها، وتقدمها، وكما قيل في الحكمة (اجتماع السواعد يبني الوطن، واجتماع القلوب يخفف المحن).

فالعمل الجماعي قوة للمجتمع والدولة، فالدولة التي يكون أفرادها متعاونين

(١) هو الإمام العلَّامة عَوْنُ الدِّينِ يحيى بن هُبَيْرَة الذهلي الشيبانيّ، أبو المظفر. فقيه أديب. كان مكرما لأهل العلم، يحضر مجلسه الفضلاء على اختلاف فنونهم. صنف كتبا منها "الإيضاح والتبيين في اختلاف الأئمة المجتهدين" و "الإفصاح عن معاني الصحاح". مات سنة ستون وخمسمائة. وفيات الأعيان، لابن خلكان (٦/ ٢٣٠-٢٤٤)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي (٢٠/ ٤٢٦)، والأعلام، للزركلي (٨/ ١٧٥).

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، لأبي المظفر الشيباني، طبعة: دار الوطن ـــ سنة النشر: ١٤١٧هـ (٨/ ٥٢).

مجتمعين تكون لها هيبة بين الأمم، بينما ترى الدول والمجتمعات التي تكثر فيها الفرقة والطائفية ممزَّقَة غير قادرة على الإنجاز، فلا يقوى الإنسان في الحياة على هذه الأرض من دون أن يعاونه الناس ويقفوا معه، وقد كان الإنسان ومنذ خلقه الله تعالى يسعى للاجتماع مع أخيه الإنسان والتعاون معه في استثمار خيرات الأرض وتطويعها لخدمة البشرية،

فكل إنسان خلقه الله تعالى له من الميزات ما ليس للآخر.(١)

فالمجتمع الذي ترى أفراده مجتمعين متوحدين هو أكثر المجتمعات القادرة على العطاء والبذل، كما أنّه أكثر المجتمعات قدرة على تجاوز نقاط الضعف وسدها، والعمل الجماعي يعطي المجتمع والوطن هيبةً في نفوس الأعداءْ والمتربصين، فعندما ينظر العدو إلى أفراد الوطن يعملون معاً فإنه يهابهم، فيصبح المسلمون قوةّ لا يمكن هزيمتها أو ضعضعتها.(٢)

والناظر في السيرة النبوية المطهرة يرى أن (بناء المسجد في المدينة) كان أول لبنة في بناء الدولة الإسلامية، وهو خير مثال على العمل التَّشاركي الجماعي النَّاجح، حيث تَشَارَكَ وتَعَاوَنَ المهاجرون والأنصار في بنائه وتشييده، وعملوا جنباً إلى جنب في إنجازه؛ إيماناً منهم بأن بناء الأوطان لا يتم إلا من خلال تعاون وتشارك وتكاتف الأيدي المخلصة من أبنائها، وقد شاركهم النَّبيُّ ﷺ في بنائه؛ تأكيداً منه ﷺ على مكانة ومنزلة التشارك والتعاون بين أفراد الأمة، فقد أخرج الشيخان (رحمهما الله) بسنديهما من حديث أَنَس بْن مَالِك ﷺ، قَالَ: قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ المَدِينَةَ فَنَزَلَ أَعْلَى المَدِينَةِ فِي حَيٍّ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، فَأَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهِمْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى بَنِي النَّجَّارِ،

(١) " أهمية العمل الجماعي في الإسلام "، مقال لتهاني البدراني، جريدة الرياض، تاريخ النشر : الجمعة ٢٨ جمادى الآخرة ١٤٣٩هـ – ١٦ مارس ٢٠١٨م.

(٢) المرجع السابق.

فَجَاءُوا مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ عَلَى رَاحِلَتِهِ، وَأَبُو بَكْرٍ رِدْفُهُ[١] وَمَلَأُ بَنِي النَّجَّارِ حَوْلَهُ حَتَّى أَلْقَى بِفِنَاءِ أَبِي أَيُّوبَ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُصَلِّيَ حَيْثُ أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ، وَيُصَلِّي فِي مَرَابِضِ[٢] الغَنَمِ، وَأَنَّهُ أَمَرَ بِبِنَاءِ المَسْجِدِ، فَأَرْسَلَ إِلَى مَلَإٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ فَقَالَ: «يَا بَنِي النَّجَّارِ ثَامِنُونِي[٣] بِحَائِطِكُمْ هَذَا»، قَالُوا: لاَ وَاللَّهِ لاَ نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ، فَقَالَ أَنَسٌ: فَكَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ لَكُمْ قُبُورُ المُشْرِكِينَ، وَفِيهِ خَرِبٌ وَفِيهِ نَخْلٌ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقُبُورِ المُشْرِكِينَ، فَنُبِشَتْ، ثُمَّ بِالخَرِبِ فَسُوِّيَتْ، وَبِالنَّخْلِ فَقُطِعَ، فَصَفُّوا النَّخْلَ قِبْلَةَ المَسْجِدِ وَجَعَلُوا عِضَادَتَيْهِ[٤] الحِجَارَةَ، وَجَعَلُوا يَنْقُلُونَ الصَّخْرَ وَهُمْ يَرْتَجِزُونَ وَالنَّبِيُّ ﷺ مَعَهُمْ، وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ لاَ خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الآخِرَهْ فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالمُهَاجِرَهْ».[٥]

كما أن العمل التشاركي والتعاون والتكاتف هو السبيل إلى حماية الأوطان، والحفاظ عليها، وهذا ما يتضح جلياً من خلال تعاون المؤمنين مع رسول الله ﷺ في حفر الخندق في غزوة الأحزاب[٦] للحفاظ على المدينة، وعدم النيل منها من جيوش المشركين،

---

(١) الرِّدف- بكسر الراء، وسكون الدالَ- المرتدف؛ وهو الذي يركبُ خلف الراكب. شرح سنن أبي داود، للعيني (٢/ ٣٥٠). قال الحافظ ابن حجر (رحمه الله): " كأن النبي ﷺ أردفه تشريفا له وتنويها بقدره وإلا فقد كان لأبي بكر ﷺ ناقة هاجر عليها " فتح الباري لابن حجر (١/ ٥٢٥).

(٢) مرابض: جمع مَربض بكسر الباء، وهو: مأْواها، وربوضها: طرح أجسادها على الأرض وطئُ قوائمها للنوم أو الراحة. لسان العرب، لابن منظور (٧/ ١٤٩)، وإكمال المعلم ، للقاضي عياض (٢/ ٤٤٤)، والمفاتيح في شرح المصابيح، للمُظْهِري (٢/ ٨٧) مادة (رَبَضَ).

(٣) «ثَامِنُونِي»: أَيْ قَرِّرُوا مَعِي ثَمَنَه وبيعُونِيه بالثَّمَن. يُقَالُ: ثَامَنْت الرجُل فِي الْمَبِيعِ أُثَامِنُه، إِذَا قاولْتَه فِي ثَمَنِه وسَاوَمْتَه عَلَى بَيْعه واشْتِرائه. النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٢٢٣) مادة (ثَمَنَ).

(٤) الْعِضَادَةُ بِكَسْرِ الْعَيْنِ هِيَ جَانِبُ الْبَاب، وعِضادَتا الْبَابِ: الْخَشَبَتَانِ الْمَنْصُوبَتَانِ عَنْ يَمِينِ الدَّاخِلِ مِنْهُ وَشِمَالِهِ. شرح النووي على صحيح مسلم (٥/ ٨)، ولسان العرب (٣/ ٢٩٤) مادة (عَضُد).

(٥) أخرجه البخاري في: كتاب الصلاة، بَابٌ: هَلْ تُنْبَشُ قُبُورُ مُشْرِكِي الجَاهِلِيَّةِ، وَيُتَّخَذُ مَكَانُهَا مَسَاجِد (١/ ٩٤)ح ٤٢٨، ومسلم في: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ابتناء مسجد النبي ﷺ (١/ ٣٧٣)ح ٥٢٤.

(٦) **قال الإمام ابن كثير (رحمه الله)**: "وقد كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس من الهجرة، نص على ذلك ابن إسحاق وعروة بن الزبير وقتادة والبيهقي وغير واحد من العلماء سلفا وخلفا. السيرة النبوية لابن كثير (٣/ ١٨٠)، وينظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٢١٤)، والدرر في اختصار المغازي والسير، لابن عبد البر (ص: ١٦٩)،و المختصر الكبير في سيرة الرسول ﷺ، لابن جماعة (ص: ٦٣).

ويتعلم المسلمون قيمة التعاون والاتحاد في مواجهة الأزمات، فقد أخرج الإمام البخاري (رحمه الله) بسنده عن سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ ﷺ قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الخَنْدَقِ، وَهُوَ يَحْفِرُ وَنَحْنُ نَنْقُلُ التُّرَابَ، وَيَمُرُّ بِنَا، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ لاَ عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَهْ، فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالمهَاجِرَهْ».(١)

٣) يعزز التَّلاحم والتَّرابط بين أفرادِ المجتمع، ويقْضِي على الأنانية، وحبِّ الذَّات:

فالعمل التَّشَارُكي من شأنه أن يقوي الأواصر والروابط، ويغرس المحبة والألفة بين أفراده المشاركين فيه، ويرسخ القيم الإنسانية النبيلة، فعندما يعمل الأفراد معًا ويتعاونون، يتعرفون على بعضهم البعض بشكل أفضل، ويبنون الثقة والألفة فيما بينهم، ويكونون علاقات طيبة، مما يساعد في تحقيق أفضل النتائج، كما أنه يقضي على الأنانية المُهْلِكَة، ويدعو الفرد للبذل والعطاء، فلا يرى الفرد المشارك في العمل التشاركي الجماعي إلا المصلحة المشتركة التي تؤدي إلى نجاح الجميع، ونجاح العمل، وهذا من شأنه جعل المجتمع أكثر أماناً واستقراراً، فالمجتمع المتماسك المترابط لا يمكن تحقيقه إلا من خلال تشارك وتعاون أفراده مع بعضهم البعض، فقد أخرج الشيخان (رحمهما الله) بسنديهما من حديث أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" «إِنَّ المؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ".(٢)

قال الإمام ابن بطال(رحمه الله) عند شرحه لهذا الحديث:" تعاون المؤمنين بعضهم بعضًا فى أمور الدنيا والآخرة مندوب إليه بهذا الحديث ...، فينبغى للمؤمنين استعمال آداب نبيهم ﷺ، والاقتداء بما وصف المؤمنين بعضهم لبعض من الشفقة والنصيحة، وتشبيكه أصابعه تاكيدًا لقوله وتمثيلا لهم كيف يكونون فيما خولهم من ذلك".(٣)

(١) أخرجه البخاري في: كتاب الرقاق، بَابٌ: لاَ عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَةِ (٨/ ٨٨)ح ٦٤١٤.

(٢) أخرجه البخاري في: كتاب الصلاة، بَابُ تَشْبِيكِ الأَصَابِعِ فِي المسْجِدِ وَغَيْرِهِ (١/ ١٠٣)ح ٤٨١ واللفظ له، ومسلم في: كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ (٤/ ١٩٩٩)ح ٢٥٨٥.

(٣) شرح صحيح البخارى لابن بطال (٩/ ٢٢٧).

وَقَالَ الإمامُ القُرْطبِيُّ[(١)](رحمه الله): "فيه: [أي حديثِ «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ»[(٢)]] تمثيل يفيد الحض على معونة المؤمن للمؤمن ونصرته، وأن ذلك أمر متأكد لا بد منه، فإنَّ البناء لا يتم أمره، ولا تحصل فائدته إلا بأن يكون بعضه يمسك بعضا ويقويه، فإن لم يكن كذلك انحلَّتْ أجزاؤه، وخرب بناؤه، وكذلك المؤمن لا يستقل بأمور دنياه ودينه إلا بمعونة أخيه ومعاضدته ومناصرته، فإن لم يكن ذلك عجز عن القيام بكل مصالحه، وعن مقاومة مضاده، فحينئذ لا يتم له نظام دنيا ولا دين".[(٣)]

فلقد قرَّرَ الحديثُ الشريف معنى الاتحاد الذي يجب أن يكون بين جميع أفراد المؤمنين على أكمل وجه في التصوير، وأبلغه في التأثير، فقد شبههم بالبنيان، وذلك وحده كاف في إفادة الاتحاد، وزاد عليه التصريح بالشَّدِ والتقوية؛ ليبين أن في ذلك الاتحاد القوة للجميع تأكيداً للزوم الاتحاد بذكر فائدته، ثم زاد عليه التصوير بالمحسوس، لما شبك ﷺ بين أصابعه. هذا كله ليبين للمؤمنين لزوم الاتحاد وضرورته.[(٤)]

كما أن العمل التشاركي من شأنه أن يحقق التراحم والتعاطف الذي بيَّنَهُ النَّبيُّ ﷺ في الحديث الذي أخرجه الشيخان (رحمهما الله) بسنديهما من حديث النُّعْمَانِ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ،

---

(١) هو الإمام العلامة أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري الْقُرْطُبِيّ المالكي، الفقيه المحدث، من كبار الأئمة، يُعْرف بابن المزين. وُلد بقرطبة سنة ثمانٍ وسبعين وخمسمائة، وسمع الكثير بها، وقدم الإسكندرية، فأقام بها يدرس. صنف "المفهم في شرح صحيح مسلم" وأتى فِيهِ بأَشْيَاء مفيدة، وكان بارعاً في الفقه والعربية، واختصر الصحيحين. مات سنة ست وخمسين وستمائة. العبر في خبر من غبر، للذهبي (٣/ ٢٧٨)، وحسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، للسيوطي (١/ ٤٥٧)، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد (٧/ ٤٧٣)، والأعلام للزركلي (١/ ١٨٦).

(٢) سبق تخريجه في أعلى الصفحة.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي، طبعة (دار ابن كثير، دمشق – بيروت)، الأولى، ١٤١٧ هـ (٦/ ٥٦٥).

(٤) مجالس التذكير من حديث البشير النذير، لابن باديس، طبعة: وزارة الشؤون الدينية _ الجزائر، الأولى، ١٤٠٣هـ (ص: ٩٨).

إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى».[١] ، حيثُ شَبَّهَ النَّبيُّ ﷺ المؤمنين في حال توادهم وتراحمهم وتعاطفهم بالجسد الواحد، الذي لا تنفك أعضاؤه عن بعضها بحال من الأحوال، وهذا التمثيل النبوي يوضح ويبين أعلى صور التضامن والتعاون والترابط.

قال الإمام ابن أبي جمرة[٢](رحمه الله) عن الحديث السَّابق:" الذي يظهر أن التراحم والتوادد والتعاطف وإن كانت متقاربة في المعنى لكن بينها فرق لطيف، فأما التراحم فالمراد به أن يرحم بعضهم بعضاً بأخوة الإيمان لا بسبب شيء آخر، وأما التوادد فالمراد به التواصل الجالب للمحبة كالتزاور والتهادي، وأما التعاطف فالمراد به إعانة بعضهم بعضا كما يعطف الثوب عليه ليقويه.[٣]

وقالَ الإمامُ النَّوويُّ (رحمه الله) مُعَلِّقاً على الحديثن السابقين:" هَذِهِ الْأَحَادِيثُ صَرِيحَةٌ فِي تَعْظِيمِ حُقُوقِ الْمُسْلِمِينَ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ وَحَثِّهِمْ عَلَى التَّرَاحُمِ وَالْمُلَاطَفَةِ وَالتَّعَاضُدِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا مَكْرُوهٍ".[٤]

(١) أخرجه البخاري في: كتاب الآداب، بَابُ رَحْمَةِ النَّاسِ وَالبَهَائِمِ (٨/ ١٠)ح ٦٠١١ واللفظ له، ومسلم في: كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ (٤/ ١٩٩٩)ح ٢٥٨٦.

(٢) هو الإمامُ الحافظُ المحدثُ، أبو محمَّد، عبدُ الله بن سعيد بن أبي جمرة الأزديُّ الأندلسيُّ. العالم المحدث المفسر القدوة. له تصانيف عديدة، منها :كتاب" بهجة النفوس"، وهو عبارة عن شرح لخمس مائة حديث من صحيح البخاري، وكتاب "المرائي الحسان ". اختلف في سنة وفاته، قيل سنة (٦٧٥)، وقيل: سنة (٦٩٥)، وقيل: سنة (٦٩٩) هـ. التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، للقِنَّوجي (ص: ٣٨٦)، وسلم الوصول إلى طبقات الفحول، لحاجي خليفة (٢/ ٢١١)، والأعلام للزركلي (٤/ ٨٩)، ومعجم المؤلفين (٦/ ٤٠).

(٣) نقلاً عن كتاب "فتح الباري" للحافظ ابن حجر (رحمه الله) (١٠/ ٤٣٩).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت _ الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ (١٦/ ١٣٩).

وَعَلَّقَ الأستاذُ الدَّكتورُ/ موسى شاهين [١](رحمه الله) على حديث «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ» بقوله:" وعندي أن وجه الشبه هو التعاون بين أعضائه، والتعاطف والتوادد والتضامن في تحمل المسئولية كالبنيان يشد بعضه بعضا، فوجه الشبه المشاركة في التأثر والتأثير". [٢]

٤) يُمَكِّنُ من توظيف الطَّاقات حسْب إمكانية كل فرد من أفراد العمل:

فقد كان أول عمل عمله النَّبيُّ ﷺ في المدينة بعد هجرته المباركة هو (بناء مسجد المدينة)، وهو من أَجَلِّ الأعمال التي يُضْرَبُ بها المثل في العمل التشاركي [الجماعي]، وبالنَّظَرِ في أحداث بناء المسجد نرى أن النَّبيَّ ﷺ كان يوظِّف الطاقات أكمل وأبدع توظيف حسْب ما يُجيد ويُحسن فيه كل فرد من أفراد العمل التَّشاركي مما أفاض الله تعالى عليه به، حيث إن توظيف الطاقات من شأنه الوصول لتحقيق الأهداف بقليل من الجهد والوقت، ففي بناء المسجد استثمر النَّبيُّ ﷺ مهارات وقدرات أصحابه – رضي الله عنهم –، والذي أسهم في إنجاز هذا العمل المبارك بكفاءةٍ عالية، ففي الحديث الصحيح

(١) هو الشيخ العلامة الأستاذ الدكتور/ موسى شاهين لاشين. ولد في شهر رجب ١٣٣٨هـ الموافق لشهر إبريل ١٩٢٠م في قرية أسنيت مركز بنها بمحافظة القليوبية بجمهورية مصر العربية. نال تعليمه في جميع مراحله في الأزهر الشريف، وتقلَّدَ منصب نائب رئيس جامعة الأزهر، ورئيساً للمركز الدولي للسيرة والسنة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف المصرية، وله حلقات إذاعية ومقالات وفتاوى، ومؤلفات عديدة منها: كتاب (فتح المنعم شرح صحيح مسلم)، و(تحقيق وتعليق على صحيح مسلم) بالاشتراك مع العالم الجليل أ.د/ أحمد عمر هاشم، وغيرها. توفي رحمه الله في ليلة عاشوراء المحرم ١٤٣٠هـ الموافق ٦ من يناير ٢٠٠٩ م. "جهود شيوخ الأزهر وعلمائه النبلاء ومن عاش بمصر من الفضلاء ومناهجهم في خدمة صحيح البخاري من بداية القرن العاشر الهجري إلى عام (١٤٣٨هـ) من القرن الخامس عشر"، بحث من تأليف د/ أحمد محمد خاطر، مدرس الحديث في كلية الدراسات الإسلامية بدمياط. (ص ٤٣٦).

(٢) فتح المنعم شرح صحيح مسلم، أ.د/ موسى شاهين لاشين، طبعة: دار الشروق _ مصر _الأولى، ١٤٢٣ هـ (١٠/ ٦١) باختصار.

من حديث طَلْقِ بْنِ عَلِيٍّ ﷺ[١] قَالَ: بَنَيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ فَكَانَ يَقُولُ: «قَدِّمُوا الْيَمَامِي[٢] مِنَ الطِّينِ، فَإِنَّهُ مِنْ أَحْسَنِكُمْ لَهُ مَسًّا»[٣]، وفي رواية: قَالَ طَلْقُ بْنُ عَلِيٍّ ﷺ: جِئْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ يَبْنُونَ الْمَسْجِدَ، قَالَ: فَكَأَنَّهُ لَمْ يُعْجِبْهُ عَمَلُهُمْ، قَالَ: فَأَخَذْتُ الْمِسْحَاةَ[٤]، فَخَلَطْتُ بِهَا الطِّينَ، فَكَأَنَّهُ أَعْجَبَهُ أَخْذِي الْمِسْحَاة وَعَمَلِي، فَقَالَ: «دَعُوا الْحَنَفِيَّ[٥] وَالطِّينَ، فَإِنَّهُ أَضْبَطُكُمْ لِلطِّينِ».[٦]

ففي الحديث السَّابق نرى أنَّ النَّبيَّ ﷺ قد أسْنَدَ أمرَ البناء إلى الصحابي الجليل طَلْقِ بْنِ عَلِيٍّ ﷺ؛ لكونه ﷺ أحسن الصحابة ﷺ مسّاً وضبطاً للطين، حيث اشْتُهِر أهل اليمامة بذلك، وهذا يدل على أن النَّبيَّ ﷺ كان يوظِّفُ الطاقات كلٌ فيما يُحْسِنُهُ ويُجِيدُه، وَقَدْ تَرْجَمَ لذلكَ إمامُ المحدثينَ الإمامُ البخاريُّ (رحمه الله)، حيثُ بَوَّبَ باباً في

(١) هو الصحابي الجليل طَلْقُ بن علي بن طلق بن على بن المنذر بن قيس بن عمرو الحنفي، اليمامي ﷺ. يكنى بأبي علي. مشهور، وله صحبة ووفادة ورواية. كان من الوفد الذين قدموا عَلَى رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من اليمامة فأسلموا، ومن حديثه في السّنن أنه بنى معهم في المسجد، فقال النّبيّ ﷺ: «قرّبوا له الطّين فإنّه أعرف». معرفة الصحابة لأبي نعيم (٣/ ١٥٦٨)، و الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (٢/ ٧٧٦)، وأسد الغابة، لابن الأثير (٣/ ٩١)، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر (٣/ ٤٣٧).

(٢) يقصد الصحابي الجليل (طلق بن علي ﷺ).

(٣) أخرجه أحمد (٣٩/ ٤٦٣)ح ٢٧، وابن حبان كما في الإحسان في: كتاب الطهارة، باب ذِكْرُ الْوَقْتِ الَّذِي وَفَدَ طَلْقُ بْنُ عَلِيٍّ ﷺ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (٣/ ٤٠٤)ح ١١٢٢ واللفظ له، والطبراني في الكبير (٨/ ٣٣٢)ح ٨٢٤٢ ، والضياء المقدسي في المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما(٨/ ١٦٩)ح ١٨٦ وقال:حديث صحيح، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد(٢/ ٩).

(٤) (المسحاة): هي المجرفة من الحديد. شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٥/ ١٥٣٣).

(٥) يقصد الصحابي الجليل (طلق بن علي ﷺ).

(٦) أخرجه أحمد (٣٩/ ٤٦٥)ح ٣١، وابن حبان كما في الإحسان في كتاب الطهارة، باب ذِكْرُ الْوَقْتِ الَّذِي وَفَدَ طَلْقُ بْنُ عَلِيٍّ ﷺ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (٣/ ٤٠٤)ح ١١٢٢، والطبراني في الكبير (٨/ ٣٣٥)ح ٨٢٥٤، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٨/ ١٦٩)ح ١٨٦، جميعهم بإسناد حسن لغيره؛ فيه (أيوب بن عتبة اليَمامي) ضعيف، تقريب التهذيب (ص: ١١٨)، لكنه توبع بـ (عبد الله بن بدر الحنفي اليمامي) ثقة، تقريب التهذيب (ص: ٢٩٦) كما عند الإمام أحمد (٣٩/ ٤٦٣)ح ٢٧.

(كتاب الصلاة) بقولِه: "بَابُ الِاسْتِعَانَةِ بِالنَّجَّارِ وَالصُّنَّاعِ فِي أَعْوَادِ المِنْبَرِ وَالمَسْجِدِ".[١]

٥) يُمَكِّنُ من الاستفادة من الخِبْرات، والوصول لأفضل النتائج:

فحفر الخندق في غزوة الأحزاب من الأعمال التي يُضرب بها المثل على العمل الجماعي النَّاجح أيضاً، تلك الفكرة التي أشار بها سيدنا سلمان الفارسي ﷺ[٢] على رسول الله ﷺ؛ لتكون مانعاً للأحزاب من مداهمة المدينة، وكانت من أسباب نصر الله تعالى لعباده المؤمنين في هذه الغزوة، واكتسب المسلمون منها الخبرة في الحروب، حيثُ لم تكن هذه الفكرة معروفة عند العرب من قبل، بل كان موطنها بلاد فارس، وبدوره نقلها سيدنا سلمان ﷺ[٣]، ولم يكن ليتحقق ذلك النصر، ولا اكتساب هذه المعارف الجديدة – بعد توفيق الله تعالى – إلا من خلال التَّشَارُك والتعاون بين رسول الله ﷺ، وبين أصحابه ﷺ ".

وهذا من جملة الأدلة الكثيرة التي تدل على أن الحكمة هي ضالة المؤمن، فحيثما وجدها التقطها بل هو أولى بها من غيره، وأن الشريعة الإسلامية بمقدار ما تكره للمسلمين اتباع غيرهم وتقليدهم على غير بصيرة، تحب لهم أن يجمعوا لأنفسهم أطراف الخير كله والمبادئ المفيدة جميعها، أينما لاح لهم ذلك، وحيثما وجد، فالقاعدة الإسلامية العامة في هذا الصدد، هي أن لا يُعَطِّل المسلم عقله الحر وتفكيره الدقيق في سلوكه

(١) صحيح البخاري (١/ ٩٧).

(٢) هو الصحابي الجليل سلمان الفارسي، أَبُو عَبْد اللَّهِ. سئل عن نسبه، فقال: أنا سلمان بْن الإسلام. أصله من بلاد فارس، أَسْلَمَ مَقْدَمَ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، وَمَنَعَهُ الرِّقُّ عَنْ بَدْرٍ وَأُحُدٍ، ثُمَّ أُعْتِقَ، وَشَهِدَ الْخَنْدَقَ فَمَا بَعْدَهُ ، اخْتَلَفَ فِيهِ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ يَوْمَ الْخَنْدَقِ فِي حَفْرِهِ، وَهُوَ الَّذِي دَلَّهُمْ عَلَى هَذِهِ الْمَكِيدَةِ فَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ: هُوَ مِنَّا، وَقَالَتِ الْأَنْصَارُ هُوَ مِنَّا، فَقَالَ ﷺ: «لَا، بَلْ سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ». تُوُفِّيَ فِي خِلَافَةِ سَيِدِنَا عُثْمَانَ ﷺ، وَقِيلَ: سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ. معرفة الصحابة(٣/ ١٣٢٨)، وأسد الغابة(٢/ ٥١٠)، والإصابة (٣/ ١١٨).

(٣) ينظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٢٢٤)، والسيرة النبوية وأخبار الخلفاء، لابن حبان (١/ ٢٥٥)، والروض الأنف، للسهيلي (٦/ ١٩٥).

وعامة شؤونه وأحواله، وإذا كان المسلم كذلك، فهو ولا ريب، لا يمكن أن يربط في عنقه زماماً يسلّم طرفه للآخرين فيقودوه حيثما أرادوا بدون وعي ولا بصيرة، وهو أيضا لا يمكن أن يتجاهل أي مبدأ أو عمل أو نظام يُسَلِّم به العقل النيّر والفكر الحر وينسجم مع مبادئ الشريعة الإسلامية، ليتجاوزه ولا يتعب نفسه بأخذه والاستفادة منه.[١]

٦) وسيلةٌ لتحقيق الأهداف، وإنجاز الأعمال:

فمن أهم فوائد العمل التشاركي أنه الوسيلة المثلى لإنجاز الأعمال، وتحقيق الأهداف والغايات في وقت يسير، إذ أنه يُعْطِي الفرصة للأفراد بجمع جهودهم وخبراتهم لتحقيق أهدافهم المشتركة بكفاءةٍ عالية، وذلك لا يكون إلا بتكاتف وتضافر الجهود، فالفرد مهما بلغَت قدراته وإمكاناته، وتعدَّدَت مهاراتُه، فإنَّه لا يستطيع أن ينجز إلا مهام محدَّدة، قصيرة الأمد، كما أن ذلك يستغرق وقتاً طويلاً، وجهداً مضاعفاً.

فقد تقدم ذكر اجتماع المهاجرين والأنصار على بناء المسجد في المدينة بعد هجرة النبي ﷺ المباركة، وقد جاء في الحديث أنَّ هذا الأمر استغرق اثني عشر يوماً، فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه:" أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَاسْتَنَاخَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ بَيْنَ دَارِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ وَدَارِ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدٍ، فَأَتَاهُ النَّاسُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْمَنْزِلُ، فَانْبَعَثَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ، فَقَالَ: «دَعُوهَا، فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ» ثُمَّ خَرَجَتْ بِهِ، حَتَّى جَاءَتْ بِهِ مَوْضِعَ الْمِنْبَرِ، فَاسْتَنَاخَتْ بِهِ، ثُمَّ تَجَلْجَلَتْ، وَلِنَاسٍ ثَمَّ عَرِيشٌ كَانُوا يَرُشُّونَهُ وَيَعْمُرُونَهُ وَيَتَبَرَّدُونَ فِيهِ، حَتَّى نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، عَنْ رَاحِلَتِهِ، فَأَوَى إِلَى الظِّلِّ، فَنَزَلَ فِيهِ، فَأَتَاهُ أَبُو أَيُّوبَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْزِلِي أَقْرَبُ الْمَنَازِلِ إِلَيْكَ، فَانْقُلْ رَحْلَكَ إِلَيْهِ، قَالَ «نَعَمْ» ، فَذَهَبَ بِرَاحِلَتِهِ إِلَى الْمَنْزِلِ، ثُمَّ أَتَاهُ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، انْزِلْ عَلَيَّ، فَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ مَعَ رَحْلِهِ حَيْثُ كَانَ» وَثَبَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْعَرِيشِ اثْنَا عَشَرَ لَيْلَةً حَتَّى

(١) فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة (ص: ٢١٨).

بَنَى الْمَسْجِدَ ".[١]

وما كان هذا العمل المبارك ليتمّ في هذا الوقت القصير – بعد عون الله تعالى – إلا بتعاون وتشارك المؤمنين من مهاجرين وأنصار مع بعضهم البعض، كما سيأتي تفصيل ذلك قريباً[٢].

كما أن حفر الخندق في غزوة الأحزاب مما يضرب به المثل على العمل التشاركي، حيث ذهب البعض إلى أنه تم حفره في سِتَّة أَيَّام، وَقيل: فِي بضعَة عشر يَوْمًا، وَقيل: فِي أَرْبَعَة وَعشْرين يَوْمًا، وقيل: شَهْر[٣]، وعلى أكثر تقدير وهو شهر، فإن هذه المدة قليلة بالنسبة لما نقل في طول الخندق ووصْفه، وما كان هذا العمل الباهر الذي حال بين المشركين وبين مداهمتهم المدينة ليتمّ أيضاً – بعد عون الله تعالى – إلا بتعاون وتشارك المؤمنين مع بعضهم البعض – وسيأتي تفصيل ذلك قريباً[٤]–، مما يؤكد مكانة العمل التشاركي، وأهميته في تحقيق الأهداف، وإنجاز الأعمال.

٧) سببٌ لحلولِ البركة، وعمومِ الخير والنفع للجميع:

فالعمل التشاركي قائم على التعاون والتكاتف والتكامل في أداء العمل، وقد أودع الله تعالى البركة والخير الكثير في التعاون والتشارك والاجتماع على الخير، وكل ما فيه نفع

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه، كتاب الجهاد، باب جامع الشهادة (٢/ ٤٠٠)ح ٢٩٧٨، ومن طريقه الطبراني في الأوسط (٤/ ٣٥)ح ٣٥٤٤. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٦٣):" رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَفِيهِ صِدِّيقُ بْنُ مُوسَى، قَالَ الذَّهَبِيُّ: لَيْسَ بِالْحُجَّةِ". وينظر: ميزان الاعتدال (٢/ ٣١٤).

(٢) سيأتي الكلام بالتفصيل عن تعاون الأنصار والمهاجرين في بناء المسجد في المطلب الرابع من المبحث الحالي تحت عنوان (نماذج من العمل التشاركي من خلال السيرة النبوية).

(٣) ينظر: مدة حفر الخندق في مغازي الواقدي (٢/ ٤٥٤)، والطبقات الكبرى، لابن سعد(٢/ ٥١)، وفتح الباري، لابن حجر(٧/ ٣٩٤)

(٤) سيأتي الكلام بالتفصيل عن تعاون المؤمنين في حفر الخندق في المطلب الرابع من المبحث الحالي تحت عنوان (نماذج من العمل التشاركي من خلال السيرة النبوية).

للناس، ولهذا نجده ﷺ يدعو إلى الاجتماع في كثير من الأمور، حتى في أبسط الأشياء وهو الطعام؛ وذلك حتى تحل البركة فيه، وليكون ذلك عنواناً وتدريباً من النَّبيّ ﷺ لأتباعه المؤمنين على التشارك والتعاون والاجتماع في كل شؤونهم وأعمالهم وأحوالهم صغيرها وكبيرها، ففي حديث سيدنا عُمَر بْن الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُوا جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، فَإِنَّ الْبَرَكَةَ مَعَ الْجَمَاعَةِ».(١)

(١) أخرجه ابن ماجه في: أبواب الأطعمة، بَابُ الِاجْتِمَاعِ عَلَى الطَّعَامِ (٤/ ٤١٩)ح ٣٢٨٧ بإسناد ضعيف، فيه (عمرو بن دينار قهرمان آل الزبير) ضعيف، تقريب التهذيب (ص: ٤٢١)، وقال الإمام البوصيري في مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه (٤/ ١٢):"هَذَا إِسْنَاد ضَعِيف، وَله شَاهد من حَدِيث وَحشِي رَوَاهُ أَبُو دَاوُد وَابْن مَاجَه وَابْن حبَان فِي صَحِيحه".

قلتُ: للحديث شواهد:

أولها: حديث جابر ﷺ بلفظ: «إِنَّ أَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَى اللَّهِ مَا كَثُرَتْ عَلَيْهِ الْأَيْدِي» أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده (٤/ ٣٩)ح ٢٠٤٥، والطبراني في المعجم الأوسط (٧/ ٢١٨)ح ٧٣١٧ كلاهما بإسناد صحيح.

وثانيها: حديث وَحْشِيّ ﷺ بلفظ، أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نَأْكُلُ وَلَا نَشْبَعُ، قَالَ: "فَلَعَلَّكُمْ تَأْكُلُونَ مُتَفَرِّقِينَ؟ " قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: "فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ، يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ". أخرجه ابن ماجه في: سننه، في أبواب الأطعمة، بَابُ الِاجْتِمَاعِ عَلَى الطَّعَام (٤/ ٤١٨)ح ٣٢٨٦، بإسناد ضعيف، فيه (الوليد بن مسلم) ثقة لكنه كثير التدليس، تقريب التهذيب (ص: ٥٨٤)، ووضعه الحافظ ابن حجر في الطبقة الرابعة من طبقات المدلسين وهي:" من اتفق على أنه لا يحتج بشيء من حديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع لكثرة تدليسهم على الضعفاء والمجاهيل، طبقات المدلسين (ص ٥١). قلتُ: وقد رواه الوليد بالعنعنة، ولم يصرح فيه بالسماع.

ثالثها: حديث أنس ﷺ: " أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَجْتَمِعْ لَهُ غَدَاءٌ، وَلَا عَشَاءٌ مِنْ خُبْزٍ وَلَحْمٍ، إِلَّا عَلَى ضَفَفٍ " ، أي: اجتماع الناس، أخرجه أحمد (٢١/ ٣٤٣)ح ١٣٨٥٩، وابن حبان كما في الإحسان، كتاب التاريخ، بَابُ مِنْ صِفَتِهِ ﷺ، وَأَخْبَارِهِ (١٤/ ٢٧٣)ح ٦٣٥٩، كلاهما بإسناد صحيح.

ورابعها: حديث جابر ﷺ، بلفظ: «طَعَامُ الْوَاحِدِ يَكْفِي الِاثْنَيْنِ، وَطَعَامُ الِاثْنَيْنِ يَكْفِي الْأَرْبَعَةَ، وَطَعَامُ الْأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ» أخرجه مسلم في: صحيحه، كتاب الأشربة، بَابُ فَضِيلَةِ الْمُوَاسَاةِ فِي الطَّعَامِ الْقَلِيلِ، ... (٣/ ١٦٣٠)ح ٢٠٥٩.

والخلاصة: أن الحديث وإن كان سنده ضعيفاً إلا أنه يرتقي بشواهده فيصير حسن لغيره، هذا وقد حَسَّنَ الحديثَ الإمام على القاري في" مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح" (٧/ ٢٧٤١)، والإمام المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ٢٢١).

قَالَ الحافظُ ابنُ حَجَر (رحمه الله) مُعَلِّقاً عَلَى الحديثِ السَّابق: فَيُؤْخَذُ مِنْهُ أَنَّ الْكِفَايَةَ تَنْشَأُ عَنْ بَرَكَةِ الِاجْتِمَاعِ، وَأَنَّ الْجَمْعَ كُلَّمَا كَثُرَ ازْدَادَتِ الْبَرَكَةُ.(١)

وَقَالَ الإمامُ المُـنَـاويُّ (رحمه الله): هَذَا محسوس سِيمَا إذا كَانَ المجتمعون على الطَّعَام إخْوَانًا على طَاعَة.(٢)

(قلتُ): والشاهد في الحديث السَّابق: أن الاجتماع كان سبباً لحلول البركة في الطعام، وهذا شأن كل عمل طيب نافع اجتمع الناس وتعاونوا عليه، وأن الاجتماع والتشارك والمواساة إذا حصلت في أي عمل عمَّتْ البركة الجميع.

قال الإمامُ عبد الحق الدِّهْلوي(٣)(رحمه الله): قوله ﷺ: «فَإِنَّ الْبَرَكَةَ مَعَ الْجَمَاعَةِ» أي: في الأكل، بل في جملة الأمور.(٤)

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، طبعة: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ (٩/ ٥٣٥).

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ٢٢١).

(٣) هو الإمام العلَّامة عبد الحق بن سيف الدين الدِّهْلوي الفقيه الحنفي المحدّث الصوفي، من دهلي (بالهند). محدّث الهند. جاور الحرمين، وأخذ عن علمائهما. قيل: بلغت مصنفاته مائة مجلد، منها (مقدمة في مصطلح الحديث)، و(لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح). و(جذاب القلوب، إلى طريق المحبوب)، مشتمل على ثلاثين باباً فيما يقتدى به السالك، وينجو من المهالك. مات سنة اثنتين وخمسين وألف. كشف الظنون (١/ ٥٨١)، والأعلام للزركلي (٣/ ٢٨٠).

(٤) لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح (٧/ ٢٩٥).

المطلب الثالث

(ضوابطُ العملِ التَّشَارُكي من خلال السِّيرة النَّبوية)

تبين مما سبق ذكره أنَّ السُّنةُ النَّبويةُ اهتمت بالعَمَلِ التَّشَارُكِي [الجماعي] اهتماماً بليغاً؛ ودَعَتْ إليهِ، وشَجَّعَتْ عَليهِ، وظهر ذلك جلياً في سيرة النبي ﷺ المباركة، وحياته العملية، لكن لكي يؤتي العمل التشاركي ثماره وأُكُلَه لا بدّ من مراعاة جملة من الضوابط عند القيام بأيّ عملٍ تشاركي جماعيٍّ، والأصل في هذه الضوابط قول الله تعالى ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ ﴾[(١)]، وفيما يلي بيان بأهم هذه الضوابط التي يجب على المشاركين في العمل التَّشَارُكِي [الجماعي] الالتزام بها أثناء قيامهم بهذا العمل، وذلك من خلال السنة والسيرة النبوية المطهرة:

أولاً: الاستعانة بالله، وطلب العون والتوفيق منه سبحانه وتعالى:

حيث إنَّ الاستعانة بالله تعالى، وطلب العون منه، والثقة التَّامة في عونه وتوفيقه سبحانه وتعالى، كان دأب النبي ﷺ في جميع أحواله وأعماله وأفعاله، وقد تجلى ذلك في حفر الخندق في عزوة الأحزاب، ففي الحديث الصحيح من حديث أَنَسٍ ﷺ قَالَ:" أَوَّلُ مَنْ ضَرَبَ فِي الْخَنْدَقِ رَسُول الله ﷺ أَخَذَ الْمِعْوَلَ بِيَدَيْهِ جَمِيعًا ثُمَّ قَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ وَبِهِ بَدَيْنَا وَلَوْ عَبَدْنَا غَيْرَهُ شَقِينَا أَلا لَحَبَّذَا[(٢)] رَبًّا وحبذا دِيْنَا» ثمَّ ضرب آخر".[(٣)]

(١) {سورة المائدة، جزء من الآية ٢}.

(٢) (حَبَّذَا)، بِتَشْدِيدِ الْبَاءِ، هُوَ حَرْفٌ مَعْنِيّ، مكون مِنْ حَبَّ وَذَا، والأَصل حَبُبَ ذَا، فأُدْغِمَتْ إِحْدَى الباءَين فِي الأُخرى وشُدّدتْ، وَذَا إشارةٌ إِلَى مَا يَقْرُب مِنْكَ. لسان العرب (١/ ٢٩١) مادة (حَبَبَ).

(٣) أخرجه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٦/ ١٥٩، ١٦٠)ح ٢١٥٩ بإسنادٍ صحيح.

ثانياً: الإخلاصُ لله تعالى، والتَّجَرُّد منَ العَصَبيَّة والحِزْبيَّة، والتَّعاون على البِرِ والتَّقْوي:

بيَّنتْ السُّنةُ النَّبويةُ أنَّ التَّعاون والتَّشَارُك قوامه وصلاحه الإخلاص لله تعالى في هذا العمل، وألا يكون مُنْطَلَق هذا العمل أو الدَّافع له هو التَّعَصُب والحَمِيَّة لعشيرةٍ أو قبيلةٍ، أو التَّحَزُّب لطائفةٍ أو جماعةٍ معينة، أو المفاخرة والمباهاة، وأن يكون هذا التشارك والتعاون على البر والتقوى والعمل الصالح النَّافع للناس، وَنَهَتْ السُّنةُ النَّبويةُ عن التَّعاون على الإثم والعدوان وكل ما فيه ضرر أو إيذاء أو إفساد، فقد أخرج الإمام أحمد، والإمام أبو داود، والإمام الحاكم (رحمهم الله) من حديث عبد الله ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، قَالَ: انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ[1] حَمْرَاءَ فِي نَحْوٍ مِنْ أَرْبَعِينَ رَجُلًا فَقَالَ: «إِنَّهُ مَفْتُوحٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ مَنْصُورُونَ مُصِيبُونَ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ وَلْيَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَلْيَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، وَمَثَلُ الَّذِي يُعِينُ قَوْمَهُ عَلَى غَيْرِ الْحَقِّ كَمَثَلِ الْبَعِيرِ يَتَرَدَّى[2] فَهُوَ يَمُدُّ بِذَنَبِهِ».[3]

قال الإمامُ البيضاويُّ[4](رحمه الله) عن هذا الحديث:والمعنى: أنه أوقع نفسه في

---

(١) (الأَدَمُ): وهُوَ الجِلْدُ الَّذِي قد تَمَّ دِباغُه وتَناهَى. تاج العروس (٣١/ ١٩٢) مادة (أَدَمَ).

(٢) قوله (يَتَرَدَّى): يُقالُ: رَدَى فِي البِئْرِ، إذا سَقَطَ فِيهَا، كتَرَدَّى، وَمِنْه المُتَرَدِّيَةُ: وَهِي الَّتِي تَطِيحُ فِي بِئْرٍ فتَموتُ. ومنه قَوْلُ الله تَعَالَى: {وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى} [سورة الليل: الآية ١١]، أَي سَقَطَ فِي هوَّةِ النَّارِ. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٢١٦)، وتاج العروس (٣٨/ ١٤٣) مادة (رَدَى).

قال الإمام الخطابي (رحمه الله):" معناه: أنه قد وقع في الإثم وهلك كالبعير إذا تردى في بئر فصار ينزع بذنبه ولا يقدر على خلاصه". معالم السنن – شرح سنن أبي داود، للخطابي، الناشر: المطبعة العلمية – حلب: الأولى ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م (٤/ ١٤٨).

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ٣٥٠)ح ٣٨٠١، وأبو داود في: كتاب الأدب، باب في العَصبِيَّة (٧/ ٤٣٩)ح ٥١١٨، والحاكم في المستدرك، كِتَابُ الْبِرِّ وَالصِّلَة، (٤/ ١٧٥) ح ٧٢٧٥ واللفظ له، وقال:" هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ "، ووافقه الذهبي.

(٤) هو الإمام العلَّامة عبد الله بن عمر بن مُحَمَّد بن عَليّ أَبُو الْخَيْر القَاضِي نَاصِر الدّين الْبَيْضَاوِيّ. كَانَ إِمَامًا مُبرزاً نظاراً صَالحا متعبدا زاهدا. من تصانيفه" أنوار التنزيل وأسرار التأويل" يعرف بتفسير البيضاوي، و"شرح المصابيح فِي الحَدِيث". مات سنة خمس وثمانين وستمائة. طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي (٨/ ١٥٧)، وطبقات الشافعية، لابن قاضى شهبة (٢/ ١٧٢)، والأعلام للزركلي (٤/ ١١٠).

الهلكة بتلك النصرة الباطلة.[١]

وعَنْ واثِلَةَ بن الأسْقَع ﷺ[٢] قَالَ: قُلْتُ يا رَسُولَ الله! ما العَصَبِيَّةُ"؟ قال: "أَنْ تُعِينَ قَوْمَكَ على الظُّلْم".[٣]

وقَالَ الإمامُ النَّوويُّ (رحمه الله) مُعَلِّقَاً على حديث«المؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ»[٤]، وحديث «تَرَى المؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ»[٥]:"هَذِهِ الْأَحَادِيثُ صَرِيحَةٌ فِي تَعْظِيمِ حُقُوقِ الْمُسْلِمِينَ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، وَحَثِّهِمْ عَلَى التَّرَاحُمِ وَالْمُلَاطَفَةِ وَالتَّعَاضُدِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا مَكْرُوهٍ".[٦]

فالتَّجَرُّد صفة أساسية من صفات العمل التَّشَارُكي، وخلق أصيل من أخلاقياته الذي لا يستقيم إلا به، ولا يستقر بدونه، ولا يؤتي ثماره بفقدانه، ولا تتآلف قلوب المشاركين في العمل الجماعي إلا به، فالمتجرد ينبغي عليه أن ينشد الحق لله، وألا يجعل لنفسه أو هواه من ذلك نصيب.

---

(١) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، للقاضي البيضاوي، الناشر: وزارة الأوقاف بالكويت عام النشر: ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢م (٣/ ٢٤٨).

(٢) هو الصحابي الجليل واثِلَة بن الأَسْقَع بن كعب بن عامر بن لَيْث بن عَبْد مَنَاة. أسلم سنة تسع هجرية، وشهد غزوة تَبُوك، وكان من فقراء المسلمين من أهل الصُّفَّة. شهد فتح دِمَشْق وسكنها وتوفي بها، وعاش إلى سنة خمس وثمانين، وله مائة وخمس سنين على الأصح. الاستيعاب، لابن عبد البر (٤/ ١٥٦٣ . ١٥٦٤)، وأسد الغابة، لابن الأثير (٥/ ٤٤٤ . ٤٤٥)، والإصابة، لابن حجر (٦/ ٥٩١).

(٣) أخرجه أبو داود في: كتاب الأدب، باب في العَصبِيَّة (٧/ ٤٤٠)ح ٥١١٩ بإسناد حسن لغيره؛ فيه (سلمة بن بشر الدمشقي) مقبول، تقريب التهذيب (ص: ٢٤٧)، وقد توبع بـ (عبَّاد بن كثير الرملي الفلسطيني) ضعيف، تقريب التهذيب (ص: ٢٩٠)، كما عند الإمام ابن ماجة في سننه، في أَبْوَابِ الْفِتَنِ، بَابُ الْعَصَبِيَّة (٥/ ٩٥)ح ٣٩٤٩.

(٤) سبق تخريجه في المطلب السابق.

(٥) سبق تخريجه في المطلب السابق.

(٦) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/ ١٣٩).

ثالثاً: توزيع الأعمال على جميع الأفراد المشاركين في العمل التَّشَاركي:

فكم من أعمال تشاركية جماعية لم تنجح بسبب اقتصار العمل على بعض الأفراد، وعدم توزيعه على جميع المشاركين في العمل، ولكونه ﷺ المثل الأعلى الذي يُحْتَذَى به في العدل والمساواة، "فقد قَسَّمَ رسولُ اللهِ ﷺ ما يُحْفَر من الخندق بين صحابته ﷺ من الأنصار والمهاجرين، فكان يجعل لكل عشرة من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أربعين ذراعا"[(١)]، فَعَنْ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ الْمُزَنِيِّ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَّ الْخَنْدَقَ عَامَ حَرْبِ الْأَحْزَابِ ...، فَقَطَعَ لِكُلِّ عَشَرَةٍ أَرْبَعِينَ ذِرَاعًا فَاحْتَجَّ الْمُهَاجِرُونَ فَقَالُوا: سَلْمَانُ مِنَّا، وَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: سَلْمَانُ مِنَّا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ».[(٢)]

قَالَ الإمامُ نور الدين أبو الحسن السَّمْهُودي[(٣)](رحمه الله) في بيان أن النَّبيَّ ﷺ كان

(١) خاتم النبيين ﷺ، للشيخ مُحَمَّد أبو زهرة (٢/ ٦٨٥).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٤/ ٦٢)، والطبراني في الكبير (٦/ ٢١٢)ح ٦٠٤٠، والحاكم في المستدرك، كِتَابُ مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ ﷺ، باب ذِكْر سَلْمَان الْفَارِسِيّ ﷺ (٣/ ٦٩١)ح ٦٥٤١ واللفظ له، والبيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٤١٨)، جميعهم بإسناد فيه (كثير بن عبد الله بن عمرو المزني) ضعيف، تقريب التهذيب (ص: ٤٦٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٣٠):"رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَفِيهِ (كَثِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِيُّ)، وَقَدْ ضَعَّفَهُ الْجُمْهُورُ، وَحَسَّنَ التِّرْمِذِيُّ حَدِيثَهُ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ"، وقال الإمام مُحَمَّد بن يوسف الصالحي في "سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد" (٤/ ٣٦٥): "رواه الطبراني بسند لا بأس به".

(٣) هو الإمام العلامة علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعيّ، نور الدين أبو الحسن السَّمْهُودي، القاهري الشافعي. نزيل الحرمين، ومؤرخ المدينة المنورة ومفتيها. ويعرف بالشَّريف السَّمْهُودي. ولد في سمهود (بصعيد مصر) ونشأ بها فحفظ القرآن، والمنهاج في الفقه، وأكثر من ملازمة «الشيخ المناوي» وأخذ عنه الكثير من العلوم، وعاش في القاهرة، واستوطن المدينة المنورة وصار مفتيها. من كتبه " وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ﷺ " في مجلدين، واختصره في " خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ﷺ ". توفي بالمدينة المنورة سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة. التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، لشمس الدين السخاوي، الناشر: الكتب العلميه، بيروت (٢/ ٢٨٠)، والضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لشمس الدين السخاوي، الناشر: دار مكتبة الحياة – بيروت (٥/ ٢٤٥)، وديوان الإسلام، لشمس الدين بن الغزي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت (٣/ ١٠١)، والأعلام للزركلي (٤/ ٣٠٧).

يقسم الأعمال بين الصحابة ﷺ المشاركين في حفر الخندق:" وفرغ النبي ﷺ من حفره بعد ستة أيام وعمل فيه جميع المسلمين وهم يومئذ ثلاثة آلاف ".[١]

وقَالَ الإمامُ مُحَمَّد بن يوسف الصَّالِحِي[٢](رحمه الله):"ووكَّلَ رسولُ اللهِ ﷺ بكلّ جانب من الخندق قوماً يحفرونه، فكان المهاجرون يحفرون من ناحية رَاتِج[٣] إلى ذِبَاب[٤]،وكانت الأنصار يحفرون من ذِبَاب إلى جبل أبي عبيدة".[٥]

رابعاً: مشاركة قائد أفراد العمل التَّشَاركي لفريق العمل:

حيثُ إنَّ مشاركة قائد العمل مع باقي الفريق من شأنه أن يشجعهم ليبذلوا أقصى طاقاتهم؛ ويشعرهم بالتشاركيّة، وأنّ ما يقومون به عملٌ مهمٌ يَعْنِيهم ويعود عليهم بالنفع جميعًا، ففي حفر الخندق شارك النَّبيُّ ﷺ أصحابه ــ رضوان الله عليهم ــ في حفره وتجهيزه، وَعَمِلَ النَّبيُّ ﷺ بنفسه، وحمل التراب على بطنه الطاهر حتى وارى الغبار عن جلدة بطنه الشريف، فقد أخرج الشيخان (رحمهما الله) بسنديهما من حديثِ البَرَاءِ بنِ عَازِب ﷺ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الأَحْزَابِ يَنْقُلُ التُّرَابَ، وَقَدْ وَارَى التُّرَابُ بَيَاضَ بَطْنِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: «لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا، وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا، فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً

(١) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى (٤/ ٧٠)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩هـ.

(٢) هو الإمام مُحَمَّد بن يوسف بن علي الدمشقي الصَّالحي، محدث، وحافظ، ومؤرخ. ولد في صالحية دمشق، وسكن القاهرة. من تلاميذ الإمام السيوطي، ومن تصانيفه: (سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد)، و(الآيات العظيمة الباهرة في معراج سيد أهل الدنيا والآخرة) وغيرها. توفي سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة. سلم الوصول إلى طبقات الفحول (٣/ ٢٩٢)، ومعجم المؤلفين (١٢/ ١٣١).

(٣) راتج: بعد الألف تاء مثناة من فوق مكسورة، وجيم: أطم من آطام اليهود بالمدينة، وتسمى الناحية به، والأطم بضم الهمزة والطاء: الحصن. معجم البلدان، للحموي (٣/ ١٢)، ومراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، لابن عبد الحق (٢/ ٥٩٢).

(٤) ذِباب: جبل بالمدينة له ذكر في المغازي والأخبار. معجم البلدان (٣/ ٣).

(٥) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٤/ ٣٦٥).

عَلَيْنَا، وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا، إِنَّ الأُلَى[1] قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا».[2]

وأخرج الإمام البخاري (رحمه الله) بسنده عن سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ رضي الله عنه قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الخَنْدَقِ، وَهُوَ يَحْفِرُ وَنَحْنُ نَنْقُلُ التُّرَابَ، وَيَمُرُّ بِنَا، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ لاَ عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَهْ، فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالمهَاجِرَهْ».[3]

قال الإمام مُحَمَّد بن إسحاق (رحمه الله): " ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ الخندق على المدينة، فعمل فيه رسول الله ﷺ

ترغيباً للمسلمين في الأجر، وَعَمِلَ معه المسلمون فيه، فدأب فيه ودأبوا، وأبطأ عن رسول الله ﷺ وعن المسلمين في عملهم ذلك رجال من المنافقين، وجعلوا يورون[4] بالضعيف من العمل، ويتسللون إلى أهليهم بغير علم من رسول الله ﷺ، ولا إذن، وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته النائبة، من الحاجة التي لا بد له منها، يذكر ذلك لرسول الله ﷺ، ويستأذنه في اللحوق بحاجته، فيأذن له، فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله، رغبةً في الخير، واحتساباً له، فأنزل الله تعالى في أولئك من المؤمنين: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾[5]".[6]

---

(١) الأُلَى: بقصر الْهمزَة المضمومة وَمَعْنَاهُ: الَّذين وَلَا وَاحِد لَهُ من لَفظه. مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض، دار النشر: المكتبة العتيقة، تونس، ودار التراث، القاهرة (١/ ٣٢) مادة (أَلَى).

(٢) أخرجه البخاري في: كتاب الجهاد والسير، باب حفر الخندق (٤/ ٢٦)ح ٢٨٣٧ واللفظ له، ومسلم في: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب وهي الخندق (٣/ ١٤٣٠)ح ١٨٠٣.

(٣) أخرجه البخاري في: كتاب الرقاق، بَابٌ: لاَ عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَةِ (٨/ ٨٨)ح ٦٤١٤.

(٤) يقال تَوَارَى الرَّجُلُ: أي اسْتَتَرَ، واخْتَفَى. تاج العروس (٤٠/ ١٩٢) مادة (وَرَي).

(٥) {سورة النور: الآية ٦٢}.

(٦) سيرة ابن هشام (٢/ ٢١٦).

كما شارك النَّبيُّ ﷺ أصحابه في بناء المسجد بعد هجرته المباركة، ترغيباً منه ﷺ للمسلمين في العمل، وتشجيعاً لهم، فقد أخرج الشيخان (رحمهما الله) بسنديهما من حديث أَنَس بْن مَالِك ﷺ، قَالَ: قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ المدِينَةَ فَنَزَلَ أَعْلَى المدِينَةِ فِي حَيٍّ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، فَأَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهِمْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً ...، **وفيه**: وَأَنَّهُ أَمَرَ بِبِنَاءِ المسْجِدِ، فَأَرْسَلَ إِلَى مَلَإٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ فَقَالَ: «يَا بَنِي النَّجَّارِ ثَامِنُونِي[(١)] بِحَائِطِكُمْ هَذَا»، قَالُوا: لاَ وَاللَّهِ لاَ نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ، فَقَالَ أَنَسٌ: فَكَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ لَكُمْ قُبُورُ المشْرِكِينَ، وَفِيهِ خَرِبٌ وَفِيهِ نَخْلٌ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقُبُورِ المشْرِكِينَ، فَنُبِشَتْ، ثُمَّ بِالخَرِبِ فَسُوِّيَتْ، وَبِالنَّخْلِ فَقُطِعَ، فَصَفُّوا النَّخْلَ قِبْلَةَ المسْجِدِ وَجَعَلُوا عِضَادَتَيْهِ[(٢)] الحِجَارَةَ، وَجَعَلُوا يَنْقُلُونَ الصَّخْرَ وَهُمْ يَرْتَجِزُونَ وَالنَّبِيُّ ﷺ مَعَهُمْ، وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ لاَ خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الآخِرَهْ فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالمهَاجِرَهْ».[(٣)]

قَالَ الإمامُ محمدُ بْنُ إِسْحَاق (رحمه الله):" وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي أَيُّوبَ ﷺ حَتَّى بَنَى مَسْجِدَهُ وَمَسَاكِنَهُ وَعَمِلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيُرَغِّبَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْعَمَلِ فِيهِ، فَعَمِلَ فِيهِ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ وَدَأَبُوا فِيهِ، فَقَالَ قَائِلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ:

لَئِنْ قَعَدْنَا وَالنَّبِيُّ يَعْمَلُ * لَذَاكَ مِنَّا الْعَمَلُ الْمُضَلِّلُ ".[(٤)]

مما سبق نعلم أن مشاركة قائد العمل التشاركي لباقي أفراده من شأنه أن يشحذ الهمم، ويزيد النشاط، ويرفع المعنويات، ويدلل على قيمة ومكانة العمل الذي يقومون به، ولذلك كان النبي ﷺ أول المشاركين لأصحابه ﷺ في مثل هذه الأعمال.

---

(١) «ثَامِنُونِي»: أَيْ قَرِّرُوا مَعِي ثَمَنَه وبيعُونِيه بالثَّمَن. يُقَالُ: ثَامَنْت الرجُل فِي الْمَبِيعِ أُثَامِنُه، إِذَا قاولْتَه فِي ثَمَنِه وسَاوَمْتَه عَلَى بَيْعه واشْتِرائه. النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٢٢٣) مادة (ثَمَنَ).

(٢) الْعِضَادَةُ بِكَسْرِ الْعَيْنِ هِيَ جَانِبُ الْبَاب، وعِضادَتا الْبَابِ: الْخَشَبَتَانِ الْمَنْصُوبَتَانِ عَنْ يَمِينِ الدَّاخِلِ مِنْهُ وَشِمَالِهِ. شرح النووي على صحيح مسلم (٥/ ٨)، ولسان العرب (٣/ ٢٩٤) مادة (عَضُد).

(٣) أخرجه البخاري في: كتاب الصلاة، بَابٌ: هَلْ تُنْبَشُ قُبُورُ مُشْرِكِي الجَاهِلِيَّةِ، وَيُتَّخَذُ مَكَانُهَا مَسَاجِد (١/ ٩٤)ح ٤٢٨، ومسلم في: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ابتناء مسجد النبي ﷺ (١/ ٣٧٣)ح ٥٢٤.

(٤) سيرة ابن هشام (١/ ٤٩٦).

خامساً: رفع الهمم، وتحفيز وتشجيع أفراد العمل:

فالعمل التَّشَارُكي [الجماعي] من شأنه أن يشحذ الهمم، ويشجع على التنافس البنَّاء، ويُحفِّز على إنجاز العمل، وذلك من خلال بثّ الأمل في نفوس المشاركين في هذا العمل وتشجيعهم، ووضع أهداف العمل أمامهم وتذكيرهم بها دومًا، وقد ظهر هذا بجلاء في غزوة الأحزاب أثناء حفر الخندق، حيث كان النبي ﷺ يشجع أصحابه ﷺ، ويرفع من هممهم، ويشدُ من أزرهم، ويبشرهم بوعد الله تعالى له بالفتح والنصر، فقد أخرج الإمام البخاري (رحمه الله) بسنده من حديث أنس ﷺ قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الخَنْدَقِ، فَإِذَا المهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ يَحْفِرُونَ فِي غَدَاةٍ بَارِدَةٍ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَبِيدٌ يَعْمَلُونَ ذَلِكَ لَهُمْ، فَلَمَّا رَأَى مَا بِهِمْ مِنَ النَّصَبِ وَالجُوعِ، قَالَ: "اللَّهُمَّ إِنَّ العَيْشَ عَيْشُ الآخِرَهْ، فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالمهَاجِرَة"، فَقَالُوا مُجِيبِينَ لَهُ:

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدَا ... عَلَى الجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدَا.[(١)]

قال الحافظ ابن حجر (رحمه الله):"وفي الحديث جواز قول الشعر وأنواعه خصوصا الرَّجَز في الحرب، والتعاون على سائر الأعمال الشاقة لما فيه من تحريك الهمم، وتشجيع النفوس وتحركها على معالجة الأمور الصعبة".[(٢)]

وأخرج الإمام الطبراني (رحمه الله) بسنده من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: احْتَفَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْخَنْدَقَ وَأَصْحَابُهُ قَدْ شُدُّوا الْحِجَارَةَ عَلَى بُطُونِهِمْ مِنَ الْجُوعِ، .... **وفيه:** فَقَالَ ﷺ: اذْهَبُوا بِنَا إِلَى سَلْمَانَ فَإِذَا صَخْرَةٌ بَيْنَ يَدَيْهِ قَدْ ضَعُفَ عَنْهَا، فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «دَعُونِي فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ ضَرَبَهَا» فَقَالَ: «بِسْمِ اللهِ» فَضَرَبَهَا فَوَقَعَتْ فِلْقَةٌ[(٣)] ثُلُثُهَا فَقَالَ: «اللهُ أَكْبَرُ قُصُورُ الرُّومِ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ» ثُمَّ ضَرَبَ بِأُخْرَى فَوَقَعَتْ فِلْقَةٌ فَقَالَ:

(١) أخرجه البخاري في: كتاب الجهاد والسير، باب التحريض على القتال (٤/ ٢٥)ح ٢٨٣٤.

(٢) فتح الباري لابن حجر (٧/ ٢٤٧).

(٣) الفَلْق: الشَّقُّ، والفَلْق مَصْدَرُ فَلَقَه يَفْلِقُه فَلْقاً شَقَّهُ، وَاحِدَتُهَا فِلْقَةٌ. لسان العرب (١٠/ ٣٠٩) مادة (فَلَقَ).

«اللهُ أَكْبَرُ قُصُورُ فَارِسَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ» فَقَالَ عِنْدَهَا الْمُنَافِقُونَ: نَحْنُ نُخَنْدِقُ عَلَى أَنْفُسِنَا وَهُوَ يَعِدُنا قُصُورَ فَارِسٍ وَالرُّومِ.(١)

يتبين من ذلك أن النَّبيُّ ﷺ كان حريصاً على تشجيع نفوس أصحابه ﷺ، وتحريكها، وتشجيعهم على تحمل المصاعب، ورفع الهمم، وتذكيرهم بوعد الله تعالى لهم بالنصر،" فقد كان حفر الخندق في ذاته عملاً شاقاً مجهداً، وقد أقبل عليه المؤمنون ببشر وترحاب، وكانوا ينشدون الرَّجَز، والنَّبيُّ ﷺ يشاركهم بأن يقول معهم آخر كلمات الرَّجَز الذى ينشدونه، وكان النَّبيُّ ﷺ يقول ما يناسبه مما يثير همَّةَ المؤمنين بالدعاء لهم".(٢)

سادساً: إعلاء مبدأ الشُّورى:

فالشُّورى لها أهمية عظيمة في حياة الأمم والمجتمعات، فالمجتمع الذي يصبو ويَنْشُد النَّجاح، لا بدَّ أن تكون الشورى شعاره،" لأن بالشُّورى تكتشف الحقائق، ويُستنبط الصواب، ويصح الرأي، وتتضافر الجهود، وتتوزع المسؤولية، وتقوى شوكة الأمة، وما ذلك إلا لأنه بالشورى تنبعث عوامل الألفة والمودة والمحبة والتعاون والتناصح، وتتشابك الأيدي لحل المعضلات، وبالشورى يصل الإنسان إلى ما يصبو إليه من فلاح وسعادة ونجاح في أمور الدنيا والآخرة، وبالشورى تُبْنَى المجتمعات الفاضلة، والدول القوية، وبالشورى يحصل النصر، وتُسْتَمالُ القلوب، ويتعاون أهل الشورى من أجل بناء الأوطان، وعمارة الأرض، وإرضاء الرب ﷻ "(٣).

وإن مبدأ الشورى من المبادئ التي أرساها النَّبيُّ ﷺ في نفوس أصحابه ﷺ قولاً وعملاً، فقد كان النبي ﷺ يكثر من مشاورة أصحابه ﷺ في شتى الأمور، حتى قال أَبُو

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٣٧٦)ح ١٢٠٥٢، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٣٢):"رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَنُعَيْمٍ الْعَنْبَرِيِّ، وَهُمَا ثِقَتَانِ".

(٢) ما بين المعكوفتين من كتاب "خاتم النبيين ﷺ" (٢/ ٦٨٥).

(٣) ما بين المعكوفتين من كتاب "الشورى في الشريعة الإسلامية"، للقاضي حسين مُحَمَّد المهدي (ص: ٩).

هُرَيْرَةَ ﷺ:" مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ مُشَاوَرَةً لِأَصْحَابِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ"(١)، والواقف على سيرة النَّبيّ ﷺ يرى بجلاء حرصَهُ ﷺ الشديد على الشورى، وتأكيده العملي على مكانتها، وتطبيقه الفِعْلِي لها في أكثر من موقف في حياته العملية، وسيرته المباركة، مما كان له بالغ الأثر في حياة المسلمين، فعلى سبيل المثال،

– ما وقَع يوم بدر، عِندما خرَج النَّبيُّ ﷺ وأصحابه ﷺ لاعتراض قافلة قريش العائدة مِن الشام، ولكنها أفلتَتْ منهم، وعَلم النَّبيُّ ﷺ بخروج مُشركي قريش لحرْبه، فاستشار النَّبيُّ ﷺ المسلمين الذين كانوا معه في أمر محاربة قريش، وقال لهم " أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ"، فقام سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر وسيدنا المِقداد بن عمرو – ﷺ – فَقَالُوا وَأَحْسَنُوا، ولكنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يُريد الأنصارَ ﷺ بهذه الاستِشارة؛ رغبةً منه ﷺ في مَعرفة ما في نفوسهم، هل يُحارِبون معه خارج المدينة أم يُحاربون معه داخل المدينة فقط؛ وتذكيره لهم بما بايَعوه عليه في العقَبة، فقام سيدُ الأنصار سيدنا سعد بن معاذ ﷺ وتكلم بكلامٍ شرح به صدرَ رسول الله ﷺ، وعَلِمَ النَّبيُّ ﷺ أن الأنصار سيقاتلون معه في المدينة وخارجها.(٢)

– وعندما انتهت غزوة بدر، أَسَرَ المسلمون سبعين أسيراً من مشركي قريش، فاستشار النَّبيُّ ﷺ سيدنا أبا بكر، وسيدنا عمر – رضي الله عنهما – في هؤلاء الأسرى، فكان رأي الصدّيق ﷺ المنَّ عليهم، وإطلاق سراحهم مقابل أخذ الفدية منهم، وأملاً في هدايتهم، وكان رأي الفاروق ﷺ أن يُقْتَلُوا، فأخذ النَّبيُّ ﷺ برأي

(١) رواه الشافعي في مسنده، ترتيب السندي (٢/ ١٧٧)ح ٦٢٤، وابن حبان كما في الإحسان، كِتَابُ السِّيَرِ، بَابُ الْمُوَادَعَةِ، وَالْمُهَادَنَة (١١/ ٢١٦)ح ٤٨٧٢، والبيهقي في الكبرى، كتاب النكاح، بَابُ مَا أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى بِهِ مِنَ الْمَشُورَةِ، فَقَالَ: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} [آل عمران: ١٥٩] (٧/ ٧٣)ح ١٣٣٠٣ جميعهم بإسناد ضعيف؛ لانقطاعه، فقد رواه الزهري عن أبي هريرة ﷺ، والزهري لم يسمع من أبي هريرة ﷺ. قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٣/ ٣٤٠):" ورجاله ثقات إلا أنه منقطع ".

(٢) ينظر: سيرة ابن هشام (١/ ٦١٤، ٦١٥)، ودلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٣٤).

الصدِّيق ﷺ، ونزل القرآن الكريم مؤيداً لرأي الفاروق سيدنا عمر ﷺ.[١]

وليس هناك من عمل تشاركي جماعي قام به النَّبيُّ ﷺ إلا واستشار فيه أصحابه – ﷺ –، ففي غزوة الأحزاب، " استشار النَّبيُّ ﷺ أصحابه ﷺ، فتقدم سلمان الفارسي ﷺ، وأشار بالخندق[٢]، لأن ذلك كان يصنعه الفرس في حروبهم ليَحُولُوا بينهم وبين القوى المهاجمة ...، واختار الرسول ﷺ ذلك الرأي، وهو جديد في العرب، قد تروعهم فكرته، ويفزعهم أمره، فأخذ في تنفيذه، فجمع المسلمين ليحفروه "[٣].

قال الإمام ابن حبان (رحمه الله):" فلما سمع رسول الله ﷺ بأمرهم [أي الأحزاب] استشار المسلمين، فأشار عليه سلمان ﷺ بضرب الخندق على المدينة، وهي أول غزوة غزاها سلمان مع رسول الله ﷺ ".[٤]

وقال الإمام مُحَمَّد بن عمر بن مبارك الحِمْيَرِي[٥](رحمه الله): "فلمّا علم النّبيُّ ﷺ بهم [أي الأحزاب] استشار أصحابه ﷺ، فأشار عليه سلمان الفارسيّ ﷺ بحفر الخندق، فشرع فيه، وقسّمه بين المهاجرين والأنصار، فاجتهدوا في حفره متنافسين في رضا الله ﷻ ورسوله ﷺ، بحيث لا ينصرف أحد منهم لحاجته حتّى يستأذن النّبيَّ ﷺ ".[٦]

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في: كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم (٣/ ١٣٨٤)ح ١٧٦٣.

(٢) ينظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٢٢٤)، والروض الأنف، للسهيلي، طبعة: دار إحياء التراث العربي، بيروت ــ الأولى، (٦/ ١٩٥).

(٣) ما بين المعكوفتين من كتاب (خاتم النبيين ﷺ) (٢/ ٦٨٤).

(٤) السيرة النبوية وأخبار الخلفاء (١/ ٢٥٥).

(٥) هو الإمام العلامة مُحَمَّد بن عمر بن مبارك الْحِمْيَرِي الْحَضْرَمِيّ الشَّافِعِي، الشهير بـ (بَحْرَق) بحاء مُهْمِلَة بعد الْمُوَحدَة ثمَّ رَاء مَفْتُوحَة بعْدهَا قَاف. المحدث الفقيه المتصوف. كان من العلماء المحققين والفضلاء المدققين، ولد بحضر موت وأخذ بها عن علمائها. وولي القضاء بالشحر. من تصانيفه (الحسام المسلول على منتقصي أصحاب الرسول ﷺ)، و(تحفة الأحباب). توفي سنة ثلاثين وتسعمائة. النور السافر عن أخبار القرن العاشر، للعَيْدَرُوس (ص: ١٣٣)، ونزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، للحسني (٤/ ٤١٢)، والأعلام للزركلي (٦/ ٣١٥).

(٦) حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، الناشر: دار المنهاج – جدة (ص: ٣٠٨).

وهكذا نري أن تقديم مبدأ الشورى وخاصة في الأعمال التشاركية الجماعية سبب من أسباب نجاحها، والوصول بها إلى أفضل النتائج، وهي وسيلة للوصول إلى الرأي السديد، لأن ما يخفى على الفرد قد يظهر لغيره من أفراد العمل، فيتحقق التكامل والترابط من خلال إعلاء هذا المبدأ.

المطلب الرابع

(نماذج من العملِ التَّشَارُكِي من السِّيرةِ النَّبوية)

حفلت السيرة النبوية بنماذج كثيرة من العمل التشاركي [الجماعي]، حيثُ إنَّ السيرة النبوية هي الجانب العملي لحياة النَّبيّ ﷺ، مما يتبين منه قيمة ومكانة هذا العمل، وفيما يلي بعض النماذج للعمل التشاركي الجماعي من خلال السيرة النبوية:

١ – الهجرة النبوية المباركة:

إن من أَجَلِّ وأعْظَمِ الأمثلة التي حوتها السيرة النبوية على العمل التشاركي الجماعي، وكانت عُنْواناً ظاهراً على تعاون الصحابة ﷺ، وتفانيهم في أداء الأعمال، هو (هجرة النَّبيّ ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة) حيثُ إنَّ الهجرة حدثٌ لم يقم به النَّبيُّ ﷺ وحده، بل كان عملاً تشاركياً، شارك فيه سبعة وهم: (النَّبيُّ ﷺ قائداً وموجّهاً)، و(سيدنا أبو بكر الصدّيق ﷺ) صاحباً، و(سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ) لينام في فراشه ﷺ، ويردَّ الأمانات، و(السيدة أسماء بنت أبي بكر ﷺ) لتجهيز الزَّاد، و(سيدنا عامر بن فهيرة ﷺ) ليرعى غنم سيدنا أبي بكر ﷺ نهارا، ويريحها على النَّبيّ ﷺ وصاحبه ليلاً ليأخذا منها ما يحتاجانه من لبن ولحم، ويزيل بها آثار الأقدام، و(سيدنا عبد الله بن أبي بكر ﷺ) ليأتيهما بأخبار قريش، و(عبد الله بن أريقط) دليلهما في الطريق.

فقد أخرج الإمام البخاري (رحمه الله) بسنده من حديثِ أُمِ المؤْمنينَ السيدةِ عائشةَ ــ ﷺ ــ قالت:" بَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، قَالَ

قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَقَنِّعًا(١)، فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي، وَاللَّهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ، قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَأْذَنَ، فَأُذِنَ لَهُ فَدَخَلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ: «أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ، بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الخُرُوجِ» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصَّحَابَةُ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَخُذْ – بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ – إِحْدَى رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بِالثَّمَنِ». قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ الجِهَازِ، وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي جِرَابٍ، فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا(٢)، فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَى فَمِ الجِرَابِ، فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ قَالَتْ: ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ، فَكَمَنَا فِيهِ ثَلاَثَ لَيَالٍ، يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَهُوَ غُلاَمٌ شَابٌّ، ثَقِفٌ(٣) لَقِنٌ(٤)، فَيُدْلِجُ(٥) مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ، فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ، فَلاَ يَسْمَعُ أَمْرًا، يُكْتَادَانِ(٦) يُكْتَادَانِ(٦) بِهِ إِلَّا وَعَاهُ، حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلاَمُ، وَيَرْعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً(٧) مِنْ غَنَمٍ، فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ

(١) التَّقَنُّع: هُوَ تَغْطِيَة الرَّأْس بالرداء وَنَحْوه. مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض، دار النشر: المكتبة العتيقة، تونس، ودار التراث، القاهرة (٢/ ١٨٧) مادة (قَنَعَ).

(٢) النِطاق، وجمعُه: مَنَاطِقْ، وَهُوَ أَنْ تَلْبَسَ المرأةُ ثوبَها، ثُمَّ تَشُدّ وَسَطها بِشَيْءٍ وتَرْفَع وسَط ثَوْبِهَا، وتُرْسِله عَلَى الْأَسْفَلِ عِنْدَ مُعاناة الْأَشْغَالِ؛ لِئَلَّا تَعْثُرَ فِي ذَيْلها. النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٧٥) مادة (نَطَقَ).

(٣) يقال (رجل ثَقِفٌ): إذا كان ذا فِطْنَةٍ وفَهم وذكاء. غريب الحديث للخطابي (١/ ٢٠٨) مادة (ثَقِفَ).

(٤) يقال (رجل لَقِن): إذا كان حَسَن التَّلَقُّن لِمَا يَسْمَعُه. غريب الحديث للخطابي (١/ ٢٠٨) مادة (لَقَنَ).

(٥) الدَّلْجُ: هُوَ سَيْر اللَّيْلِ. يُقال أَدْلَجَ بالتَّخفيف إِذَا سَار مِنْ أَوَّلِ اللَّيْل. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ١٢٩) ١٢٩) مادة (دَلَجَ).

(٦) يُكْتَادَانِ به: هو من الكيد والمكيدة، وهو المكر. أعلام الحديث، للإمام الخطابي (٣/ ١٦٩١)، وتاج العروس (٩/ ١٢٢) مادة (كَيَدَ).

(٧) أَيْ غنمٌ فِيهَا لبنٌ. النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٣٦٤).

العِشَاءِ، فَبَيِيتَانِ فِي رِسْلٍ، وَهُوَ لَبَنُ مِنْحَتِهِمَا وَرَضِيفِهِمَا[١]، حَتَّى يَنْعِقَ[٢] بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ[٣]، يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلاَثِ، وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدِّيلِ[٤]، وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ، هَادِيًا خِرِّيتًا، وَالخِرِّيتُ المَاهِرُ بِالهِدَايَةِ، قَدْ غَمَسَ حِلْفًا فِي آلِ العَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ، وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَأَمِنَاهُ فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا، وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، بِرَاحِلَتَيْهِمَا صُبْحَ ثَلاَثٍ، وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، وَالدَّلِيلُ، فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَاحِلِ.[٥]

كما أن سيدنا مصعب بن عمير ﷺ قد شارك في تهيئة بيئة المدينة قبل هجرة النَّبيّ ﷺ إليها، حيثُ أرسله النَّبيُّ ﷺ إلى المدينة قبل الهجرة النبوية ليدعو إلى دين الله تعالى، لما كان يتمتع به ﷺ من مَلَكَةٍ ومهَارَةٍ كبيرةٍ في الحوار مَكَّنَتْهُ من أداء مُهِمَّتِه في هدوءٍ وحكمةٍ، فضلاً عن إمامته لأهل المدينة في الصلاة، وقد كتب الله تعالى النجاح لهذا الصحابي الجليل حتى لُقِّبَ بأولِ سفير في الإسلام.

قَالَ الإمامُ ابْنُ إسْحَاق (رحمه الله):" فَلَمَّا انْصَرَفَ عَنْهُ [أي رسول الله ﷺ] الْقَوْمُ [أي أهل بيعة العقبة الأولى]، بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَهُمْ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُقْرِئَهُمْ الْقُرْآنَ، وَيُعَلِّمَهُمْ الْإِسْلَامَ،

(١) الرَّضِيفُ: اللَّبَنُ الْمَرْضُوف الَّذِي طُرِح فِيهِ الْحِجَارَةُ المحْماة لِيذهَب وَخمُه. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٢٣١) مادة (رَضَفَ).

(٢) يُقَالُ: نَعَقَ الرَّاعِي بِالْغَنَمِ يَنْعَقُ «٢» نَعيقا فَهُوَ نَاعِقٌ، إِذَا دَعاها لِتَعُود إِلَيْهِ. النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٨٢) مادة (نَعَقَ).

(٣) الغَلَس: ظُلْمَةُ آخِرِ اللَّيْلِ إِذَا اخْتَلَطَتْ بِضَوْءِ الصَّبَاحِ. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٣٧٧) مادة (غَلَسَ).

(٤) **قال الإمام ابن بشكوال (رحمه الله)**: الرَّجُلُ الدّيلَمِيُّ هُوَ (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَرْقَطَ)وَيُقَالُ (أُرَيْقِطٌ) ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِيمَا أَخْبَرَنَا بِهِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَن أبي الْوَلِيد الْقَاضِي قَالَ ثَنَا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بن يحيى عَن مُحَمَّد بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ هِشَامٍ عَنْ زِيَادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَكَّائِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بِذَلِكَ فِي قصَّة طَوِيلَة. غوامض الأسماء المبهمة (١/ ١٤٤).

(٥) أخرجه البخاري في: كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة (٥/ ٥٩)ح ٣٩٠٥.

وَيُفَقِّهَهُمْ فِي الدِّينِ، فَكَانَ يُسَمَّى الْمُقْرِئَ بِالْمَدِينَةِ: مُصْعَبٌ ﷺ".[١]

وثبت عند الإمام البخاري (رحمه الله) من حديثِ البَرَاء بْن عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ:" أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَكَانَا يُقْرِئَانِ النَّاسَ ...." الحديث.[٢]

فمع عظم أمر الهجرة وخطورته آثر النَّبيُّ ﷺ التشاركية والجماعية في إنجاز هذا العمل؛ ليبين لنا ﷺ مكانة ومنزلة العمل التشاركي الجماعي في تحقيق الأهداف، وإنجاز الأعمال، فالعمل التشاركي هو السبيل إلى بناء المجتمعات، وإقامة الحضارات، حيث إن أطياف المجتمع جميعها تقوم بدورها ومسؤولياتها، ويهدف إلى تحقيق المصالح والمكاسب للمجتمع بأكمله، بخلاف العمل الفردي الذي تكون نتائجه محدودة، ونفعه وأمده قاصر.

٢- بناء المسجد في المدينة المنورة:

كان بناء المسجد في المدينة المنورة هو أول عمل عمله رسول الله ﷺ بعد هجرته المباركة، وهذا بيانٌ لمكانة المسجد في الإسلام، ففيه تؤدى الصلوات، وفيه يستقبلُ النَّبيُّ ﷺ الوفود، وفيه تُعْقدُ المشورة في الأمور التي تحل بالمسلمين، وهو المدرسة التي ستقوم بأداء مهمة التعليم في شتى العلوم، وغير ذلك من المهمات العظيمة التي جعلت النبي ﷺ يشرع في بنائه منذ اللحظة الأولى التي وطئت قدماه الشريفة أرض المدينة المنورة، وكان بناء المسجد عنواناً ظاهراً للعمل التشاركي التعاوني بين أفراد المسلمين، فقد تعاون المهاجرون والأنصارُ في بنائه، وشاركهم النَّبيُّ ﷺ في العمل؛ ليَبُثَّ في نفوس أصحابه ﷺ الهمة والنشاط، وحب التعاون والمشاركة في الأعمال النافعة، فقد أخرج الشيخان (رحمهما الله) بسنديهما من حديث أَنَس بْن مَالِك ﷺ، قَالَ: قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ المَدِينَةَ فَنَزَلَ

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٤٣٤).

(٢) أخرجه البخاري في: كتاب مناقب الأنصار، باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة (٥/ ٦٦)ح ٣٩٢٥.

أَعْلَى المدِينَةِ فِي حَيٍّ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، فَأَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهِمْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً ...، **وفيه**: وَأَنَّهُ أَمَرَ بِبِنَاءِ المسْجِدِ، فَأَرْسَلَ إِلَى مَلَإٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ فَقَالَ: «يَا بَنِي النَّجَّارِ ثَامِنُونِي[(١)] بِحَائِطِكُمْ هَذَا»، قَالُوا: لاَ وَاللَّهِ لاَ نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ، فَقَالَ أَنَسٌ: فَكَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ لَكُمْ قُبُورُ المشْرِكِينَ، وَفِيهِ خَرِبٌ وَفِيهِ نَخْلٌ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقُبُورِ المشْرِكِينَ، فَنُبِشَتْ، ثُمَّ بِالخَرِبِ فَسُوِّيَتْ، وَبِالنَّخْلِ فَقُطِعَ، فَصَفُّوا النَّخْلَ قِبْلَةَ المسْجِدِ وَجَعَلُوا عِضَادَتَيْهِ[(٢)] الحِجَارَةَ، وَجَعَلُوا يَنْقُلُونَ الصَّخْرَ وَهُمْ يَرْتَجِزُونَ وَالنَّبِيُّ ﷺ مَعَهُمْ، وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ لاَ خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الآخِرَهْ فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالمهَاجِرَهْ».[(٣)]

ولقد ضرب الصحابة – رضوان الله عليهم – أروع الأمثلة في التعاون والتشارك أثناء قيامهم ببناء المسجد، فقد أخرج الإمامُ البخاري (رحمه الله) بسنده من حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّهُ ذِكْرَ بِنَاءَ المسْجِدِ، فَقَالَ: كُنَّا نَحْمِلُ لَبِنَةً لَبِنَةً وَعَمَّارٌ لَبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْنِ، فَرَآهُ النَّبِيُّ ﷺ فَيَنْفُضُ التُّرَابَ عَنْهُ، وَيَقُولُ: «وَيْحَ عَمَّارٍ، تَقْتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيَةُ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الجَنَّةِ، وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ» قَالَ: يَقُولُ عَمَّارٌ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الفِتَنِ ".[(٤)]

وفي حديث طَلْقُ بْنُ عَلِيٍّ ﷺ السَابق قَالَ: جِئْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ يَبْنُونَ الْمَسْجِدَ ...» الحديث.[(٥)]

---

(١) «ثَامِنُونِي»: أَيْ قَرِّرُوا مَعِي ثَمَنَه وبيعُونيه بالثَّمَن. يُقَالُ: ثَامَنْت الرجُل فِي الْمَبِيعِ أُثَامِنُه، إِذَا قاولْتَه فِي ثَمَنِه وسَاوَمْتَه عَلَى بَيْعه واشْتِرائه. النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٢٢٣) مادة (ثَمَنَ).

(٢) الْعِضَادَةُ بِكَسْرِ الْعَيْنِ هِيَ جَانِبُ الْبَاب، وعِضادَتا الْبَابِ: الْخَشَبَتَانِ الْمَنْصُوبَتَانِ عَنْ يَمِينِ الدَّاخِلِ مِنْهُ وَشِمَالِهِ. شرح النووي على صحيح مسلم (٥/ ٨)، ولسان العرب (٣/ ٢٩٤) مادة (عَضُد).

(٣) أخرجه البخاري في: كتاب الصلاة، بَابٌ: هَلْ تُنْبَشُ قُبُورُ مُشْرِكِي الجَاهِلِيَّةِ، وَيُتَّخَذُ مَكَانُهَا مَسَاجِد (١/ ٩٤)ح ٤٢٨، ومسلم في: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ابتناء مسجد النبي ﷺ (١/ ٣٧٣)ح ٥٢٤.

(٤) أخرجه البخاري في: كتاب الصلاة، باب التعاون في بناء المسجد (١/ ٩٧)ح ٤٤٧.

(٥) أخرجه أحمد (٣٩/ ٤٦٥)ح ٣١، وابن حبان كما في الإحسان في: كتاب الطهارة، باب ذِكْرُ الْوَقْتِ الَّذِي وَفَدَ طَلْقُ بْنُ عَلِيٍّ ﷺ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (٣/ ٤٠٤)ح ١١٢٢، والطبراني في الكبير (٨/ ٣٣٥)ح ٨٢٥٤، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٨/ ١٦٩)ح ١٨٦، جميعهم بإسناد حسن لغيره؛ فيه (أيوب بن عتبة اليَمامي) ضعيف، تقريب التهذيب (ص: ١١٨)، لكنه توبع بـ (عبد الله بن بدر الحنفي اليمامي) ثقة، تقريب التهذيب (ص: ٢٩٦) كما عند أحمد (٣٩/ ٤٦٣)ح ٢٧.

وقد أشار الإمامُ البخاريُّ (رحمه الله) إلى تشارك الصحابة ﷺ وتعاونهم في بناء المسجد، حيثُ أخرج حديث أبي سعيد الخدري ﷺ السَّابق في "كتاب الصلاة"، "باب التعاون في بناء المسجد"، مما يُعْلَمْ منه أن النَّبيَّ ﷺ وصحابته الكرام ﷺ ضربوا أروع الأمثلة في التعاون والتشارك والاجتماع على الخير المتمثل في بناء المسجد.

٣- حفر الخندق في غزوة الأحزاب:

من أبرز صور العمل التَّشَارُكِي الذي بينته السيرة النبوية المباركة (حفر الخندق حول المدينة في غزوة الأحزاب)، حيث تضافرت جهود المسلمين من مهاجرين وأنصار مع رسول الله ﷺ في القيام بهذا العمل التشاركي الجماعي بإخلاصٍ وإتقانٍ وتفانٍ،" ففي شوال سنة خمس[(١)] على ما جزم به الأئمة ابن إسحاق وعروة بن الزبير وقتادة والبيهقي وجمهور علماء السيرة خرج نفرٌ من زعماء اليهود من بني النضير حتى قدموا مكة، فدعوا قريشاً إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا: «سنكون معكم حتى نستأصله، وقالوا لهم إن ما أنتم عليه خير من دين مُحَمَّد ﷺ»[(٢)] ففيهم نزل قول الله تعالى﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ ﴾[(٣)]، فاتفقوا مع قريش على حرب المسلمين وتواعدوا لذلك، ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاؤوا غطفان فدعوهم إلى مثل ما دعوا قريشاً إليه، ولم يزالوا بهم حتى وافقوهم على ذلك ثم التقوا ببني فَزَارَة وبني مُرَّة، وتمّ لهم مع هؤلاء جميعا

(١) **قال الإمام ابن كثير (رحمه الله)**:"وقد كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس من الهجرة، نص على ذلك ابن إسحاق وعروة بن الزبير وقتادة والبيهقي وغير واحد من العلماء سلفا وخلفا. السيرة النبوية لابن كثير (٣/ ١٨٠)، وينظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٢١٤)، والدرر في اختصار المغازي والسير، لابن عبد البر (ص: ١٦٩)،و المختصر الكبير في سيرة الرسول ﷺ، لابن جماعة (ص: ٦٣).

(٢) رواه ابن هشام في السيرة (٢/ ٢١٤) عن ابن إسحاق بإسناد مرسل.

(٣) {سورة النساء: الآية ٥١}.

تواعد في الزمان والمكان لحرب رسول الله ﷺ، فلما بلغ رسول الله ﷺ الخبر وسمع بخروجهم من مكة، ندب الناس وأخبرهم خبر عدوهم وشاورهم في الأمر، فأشار عليه سلمان الفارسي ﷺ بالخندق، فأَعْجَبَ ذلك المسلمين [والخندق مما لم يكن يعلمه العرب من وسائل الحرب]، فخرجوا من المدينة وعسكر بهم رسول الله ﷺفي سفح جبل سَلْع[(١)] فجعلوه خلفهم، ثم هبُّوا جميعا يحفرون الخندق بينهم وبين العدو، وكان المسلمون يومئذ ثلاثة آلاف، وعدد ما اجتمع من قريش والأحزاب والقبائل الأخرى عشرة آلاف".[(٢)]

وَعَمِلَ النَّبِيُّ ﷺ فِي حفر الخندق بنفسه، ففي حديثِ البَرَاءِ ﷺ السابق، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الأَحْزَابِ يَنْقُلُ التُّرَابَ، وَقَدْ وَارَى التُّرَابُ بَيَاضَ بَطْنِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: «لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا، وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا، فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا، وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا، إِنَّ الأُلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا».[(٣)]

وشارك الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ رسول الله ﷺ في حفر الخندق وتجهيزه، ليضربوا أروع الأمثلة التفاني والتشارك والتعاون والتكامل فيما بينهم، والبذل والعطاء في مرضاة الله تعالى، فقد أخرج الإمام البخاريُ (رحمه الله) من حديث أَنَس بن مالك ﷺ، قَالَ: جَعَلَ المهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ يَحْفِرُونَ الخَنْدَقَ حَوْلَ المدِينَةِ،

وَيَنْقُلُونَ التُّرَابَ عَلَى مُتُونِهِمْ[(٤)]، وَيَقُولُونَ: نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدَا .... عَلَى

(١) سَلْع: بفتح أوّله، وإسكان ثانيه، بعده عين مهملة: جبل متّصل بالمدينة مشهور. معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، لمحمد بن موسى الحازمي (٣/ ٧٤٧)، ومعجم البلدان، لياقوت الحموي (٣/ ٢٣٦).

(٢) فقه السيرة النبوية، للبوطي (ص: ٢١٣) بتصرف، وينظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٢١٤)، والطبقات الكبرى، لابن سعد (٢/ ٥٠).

(٣) أخرجه البخاري في: كتاب الجهاد والسير، باب حفر الخندق (٤/ ٢٦)ح ٢٨٣٧ واللفظ له، ومسلم في: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب وهي الخندق (٣/ ١٤٣٠)ح ١٨٠٣.

(٤) (متونهم) جمع: مَتْن، وهو الظَّهر. اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، لشمس الدين البِرْماوي (١١/ ١٦٣).

الإِسْلاَمِ مَا بَقِينَا أَبَدَا، وَالنَّبِيُّ ﷺ يُجِيبُهُمْ وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنَّهُ لاَ خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الآخِرَهْ ... فَبَارِكْ فِي الأَنْصَارِ وَالمهَاجِرَهْ».(١)

ولم يكن أبدا ليتمّ هذا العمل المبارك بهذا الإنجاز، وفي هذا الوقت القصير، وعلى هذا النحو الفريد – بعد توفيق الله تعالى – إلا بالتعاون والتشارك بين أفراد المجتمع المسلم،" حيث تقدم المؤمنون الصادقون لحفر الخندق، والنبى ﷺ معهم، يحفر ويشتد في الحفر، حتى يستر التراب جلد جسمه ﷺ، وهو لا يني(٢) عن العمل بجد لاغب، ولا يقبل أن يعفيه المؤمنون، ولسان حاله يقول أنه ليس أقل منهم في طلب الجزاء، ولا أضعفهم، وكان حفر الخندق في ذاته عملا شاقا مجهدا، وقد أقبل عليه المؤمنون ببشر وترحاب، وكانوا ينشدون الرَّجَز: والنَّبِيُّ ﷺ يشاركهم بأن يقول معهم آخر كلمات الرَّجَز الذى ينشدونه وكان النَّبِيُّ ﷺ يقول ما يناسبه مما يثير همة المؤمنين بالدعاء لهم"(٣).

وبهذا التلاحم والترابط الذي كان بين النبي ﷺ وأصحابه ﷺ في عامة الأمور وَأَدَقِّهَا، وبهذه النفوس الطيبة، والسريرة الصادقة، والهمة العالية، من هؤلاء المؤمنين الصادقين، وفي هذه الأجواء الإيمانية المفعمة بحب الله تعالى، وحب رسوله ﷺ، المليئة بالنشاط والتعاون والتشارك تمَّ حفر الخندق بحول الله وقوته، وكان سبباً لأن كتب الله العزة والمنعة لعباده المؤمنين في هذه الظروف العصيبة التي لا يصبر عليها إلا المؤمنين الصادقين، ورجع الأحزاب صاغرين أذلاء كما بيَّنَ الله تعالى في قوله: ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ٢٥ ﴾(٤).

(١) أخرجه البخاري في: كتاب الجهاد والسير، بَابُ حفر الخندق (٤/ ٢٥)ح ٢٨٣٥.

(٢) الوَنَى من قَوْلهم: وَنَى يَنِي وَنْياً ووُنِيّاً، وَهُوَ التَّقْصِير فِي الْعَمَل من التَّعَب، ومنه قَوْله جلّ وعزّ: {وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي} [طه: ٤٢]. جمهرة اللغة ، لابن دريد (٢/ ٩٩٦) مادة (نوي).

(٣) خاتم النبيين ﷺ، للشيخ مُحَمَّد أبو زهرة (٢/ ٦٨٤، ٦٨٥).

(٤) {سورة الأحزاب: الآية ٢٥}.

المبحث الثاني

(عوامل نجاح الهجرة النبوية المباركة، باعتبارها عمل تَشَارُكِي)

ويتضمن أربعة مطالب:

- **المطلب الأول**: العاملُ الأول: كمالُ التَّوَكُّل عَلَى اللهِ تَعَالى، واليقِين في نصرِهِ وتأْييدِه.
- **المطلب الثاني**: العاملُ الثاني: التَّخطيطُ الجيِّد.
- **المطلب الثالث**: العاملُ الثالث: التزامُ السِّرِّيةِ التَّامّة.
- **المطلب الرابع**: العاملُ الرابع: إعلاء روح التَّعاون بين المشاركين في الهجرة النَّبوية المباركة.

لم يكن نجاح الهجرة النَّبوية من قبيل الصُّدْفَة أو التَّمني، حيثُ لم يقرر النَّبيُّ ﷺ الهجرة في ساعة من نهار، أو بين ليلة وضحاها، بل سبق ذلك التَّمهيد والتَّخطيط الواضح من رسول الله ﷺ، وبذل الجهد، وتحمل الأعباء والمتاعب،" ولا شك أن الهجرة النبوية الشريفة لم تكن تحركاً عشوائياً، ولم تكن هُروباً، ولكنها كانت نقلة استراتيجية عظيمة أراد المولى ﷻ بها حماية الدعوة بعد أن اشتد الضغط، وكثر الأذى، وازدادت المؤامرات على رسول الله ﷺ، وعلى أتباعه في مكة المكرمة، وأمعنت قريش في الظلم والتعدي والتعرض له ﷺ، ولصحابته الكرام ﷺ، فجاء الإذن بالهجرة"(١).

كما أنَّ الهجرة النبوية لم تكن قرارًا فرديًا نتج عن انفعالٍ أو اندفاعٍ أو غضب أو خوف أو طلب لمُلك، بل كانت قرارًا استراتيجيًا مدروسًا بعناية شديدة، واهتمام بالغ، وحرص منعدم النظير، محدد الهدف، واضح المعالم، ولم يكن الرسول ﷺ هو الشخص الوحيد المسؤول عن قرار الهجرة ــ وإن كان هو القائد في هذه المهمة المباركة ــ بل شارك جمعٌ كبير في إنجاح هذا الأمر، وكل ذلك بأمر الله تعالى وتوفيقه.

وقد تجلَّتْ عوامل نجاح الهجرة النبوية في كمال التَّوكلِ على الله تعالى، والثِّقة واليقين في نصره تعالى لعبده ورسوله ﷺ، وترسيخ هذا الأمر في نفوس المشاركين في الهجرة، مع بيان وتوضيح الهدف الأسمى للهجرة، وتحليل دقيق للبيئة الداخلية والخارجية للمدينة المنورة التي هي مقصود الهجرة ووجهتها، واتخاذ النبي ﷺ لكل الوسائل والأسباب التي تحتاجها الهجرة من موارد بشرية ومادية ومعنوية، للانتقال من مكة إلى المدينة ــ في ظل الظروف المحيطة ــ بأمان ودون مخاطر، كما تمَّ توزيع الأدوار على المشاركين في هذا الأمر وفقًا لمهارات وقدرات كل واحدٍ منهم، مع التأكيد على إتقان كل واحدٍ عَمَلَهُ المُسْنَد إليه، حيثُ لا مجال للخطأ، وكانت روح التعاون والتشارك بين المشاركين في

(١) ما بين المعكوفتين من مقال للدكتور/ مُحَمَّد عبده يماني، بعنوان " قصة الهجرة.. نقلة استراتيجية وتخطيط دقيق بعزيمة وتوكل "، صحيفة عكاظ، منشور بتاريخ يوم الثلاثاء ٣٠ ديسمبر ٢٠٠٨ ".

الهجرة هي العنوان البارز في هذا الحدث الجَلَل، مع الالتزام بتنفيذ الهجرة بسرّية تامة بعيداً عن أعين قريش التي كانت تتربص بالنَّبيّ ﷺ ودعوته، كلُ ذلك في إشارة واضحة لا لبس فيها إلى أن البناء السليم وإقامة الحضارات، وبناء الأوطان، وانجاز الأعمال العظيمة لا تبنيه يدٌ واحدة، بل يحتاج ذلك إلى جهد تشاركي جماعي مُنَظَّم مُتْقَن، يَنْبَثِقُ عن علمٍ ووعيٍ وفَهْم، وتخطيطٍ سليم، ويبذل فيه أفراده كل ما أُوتُوا من قوة في سبيل إنجاحه، ومن هنا يتبين لنا أن هناك عوامل عدة أدت إلى نجاح الهجرة النبوية المباركة، وهذا ما سأبينه بالتفصيل ــ إن شاء الله تعالى ــ في الصفحات التالية:

المطلب الأول

(العاملُ الأول: كمالُ التَّوكُّلِ عَلَى اللهِ تَعَالى، واليقين في نصرهِ وتأْييدِه)

إنَّ من أعظم الأمور التي ظهرت جليَّة وكانت السبب الرئيس في أسباب نجاح الهجرة النبوية هو (كمال توكل النَّبي ﷺ على ربه سبحانه تعالى، ويقينه ﷺ في تأييد الله تعالى له ونصره)، حيث لم يشك النَّبيُّ ﷺ في ذلك أبدا، ولم يتسلل إلى قلبه ﷺ أي خوفٍ أو رهبةٍ على مدار أحداث الهجرة النبوية، مع خطورتها وعظيم شأنها، ثقةً ويقيناً منه ﷺ في تأييد ربه ورعايته سبحانه وتعالى له في كل أحواله، فهو حسبه وكافيه، وقد ظهر هذا الأمر بوضوح وجلاء في أكثر من موطن أثناء الهجرة النبوية المباركة.

منها: حُالُهُ ﷺ، وصاحبُه الصدِّيقُ أبو بكر ﷺ في الغار، حيث وقف المشركون أمام الغار الذي اختبأ فيه النبي ﷺ، وصاحبه الصديق ﷺ، ولم يكن بين المشركين وبين أن يظفروا بالنَّبيِّ ﷺ إلا أن ينظر أحدهم تحت قدميه، لكنَّ قلب رسول الله ﷺ كان مُفْعَماً باليقين بحفظ الله تعالى له، ونصره وتأييده إياه، خاصةً في هذه اللحظة العصيبة، والتي كانت كفيلة أن تقضي على الدعوة التي جاء بها رسول الله ﷺ من عند ربه سبحانه وتعالى، فقد أخرج الشيخان (رحمهما الله) بسنديهما من حديثِ أَنسِ بنِ مالكٍ ﷺ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ ﷺ، قَالَ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: وَأَنَا فِي الغَارِ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا، فَقَالَ: «مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا».[(١)]

(١) أخرجه البخاري في: كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب المهاجرين وفضلهم (٥/ ٤)ح ٣٦٥٣ واللفظ له، ومسلم في: كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ (٤/ ١٨٥٤)ح٢٣٨١.

قَالَ الإمامَ أبو المُظَفَّر الشَّيْبَانِي[١](رحمه الله): فلم يكن جواب النَّبيّ ﷺ راجعاً إلى الاعتضاد بمخلوق، ولا الاستغناء ببشر؛ ولكن قال له: «يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا»، فَرَدَّهُ من التَّعلُّقِ بالأسبابِ المخلوقة إلى خَالِقِ الأسباب.[٢]

وقال الإمامُ النَّوويُّ (رحمه الله):" قوله ﷺ «يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا» معناهُ: ثَالِثُهُمَا بِالنَّصْرِ وَالْمَعُونَةِ، وَالْحِفْظِ وَالتَّسْدِيدِ وَهُوَ دَاخِلٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾[٣]، وَفِيهِ بَيَانُ عَظِيمِ تَوَكُّلِ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى فِي هَذَا الْمَقَامِ ".[٤]

وقال الإمامُ الكِرْمَانِيُّ[٥](رحمه الله):" المرادُ ثَالِثُهُمَا في تحصيلِ مرادهما ومعاونتهما، كقوله تعالى ﴿ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾[٦] أي أن الله ناصرنا ".[٧]

---

(١) هو الإمام العلَّامة العَالِمُ، عَوْنُ الدِّينِ يحيى بن هُبَيْرَة الذهلي الشيبانيّ، أبو المُظَفَّر. عالم بالفقه والأدب، وكان مكرماً لأهل العلم، يحضر مجلسه الفضلاء على اختلاف فنونهم، وصنف كتباً، منها كتاب "الإيضاح والتبيين في اختلاف الأئمة المجتهدين" وكتاب "الإفصاح عن معاني الصحاح". مات سنة ستون وخمسمائة. وفيات الأعيان، لابن خلكان (٦/ ٢٣٠- ٢٤٤)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي (٢٠/ ٤٢٦)، وحسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، للسيوطي (٢/ ١٩٩)، والأعلام، للزركلي (٨/ ١٧٥)، ومعجم المؤلفين، لعمر كحالة، (١٣/ ٢٢٨).

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح (١/ ٥٣).

(٣) {سورة النحل: الآية ١٢٨}.

(٤) شرح النووي على مسلم (١٥/ ١٤٩).

(٥) هو الإمام العلَّامة مُحَمَّد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني. من أئمة الفقه والتفسير والحديث والعربية. أصله من كرمان. اشتهر في بغداد، وأقام مدة بمكة. وفيها فرغ من تأليف كتابه (الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري)، وله كتاب (ضمائر القرآن)، وغيرهما. مات سنة سِتّ وَثَمَانِينَ وَسَبْعمائة. طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة (٣/ ١٨٠)، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة" لابن حجر العسقلاني ـ الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية – صيدر أباد/ الهند ـ الثانية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م (٦/ ٦٦)، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (٢/ ٢٩٢)، والأعلام للزركلي (٧/ ١٥٣).

(٦) {سورة التوبة: الآية ٤٠}.

(٧) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان (١٥/ ١٣٤).

"ومن أبرز الأدلة على كمالِ توكُّل النَّبي ﷺ على ربه سبحانه تعالى أيضاً: " حَالَتُهُ ﷺ عندما لَحِقَ به سُرَاقَةُ يريد قتله، وأصبح على مَقْرُبَةٍ منه، لقد كان من مقتضى كل تلك الاحتياطات الهائلة التي قام بها ﷺ أن يشعر بشيء من الخوف من هذا العدوّ الذي يجدّ في اللحاق به، ولكنه لم يشعر بشيء من ذلك، بل كان مستغرقاً في قراءته ومناجاته لربه ﷻ؛ لأنه يعلم أن الله الذي أمره بالهجرة سيمنعه من الناس ويعصمه من شرّهم كما بيّن في كتابه المبين "[(١)]، فقد أخرج الشيخان (رحمهما الله) في صحيحيهما أن البراءَ بنَ عازبٍ ﷺ قال:" جَاءَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ، إِلَى أَبِي فِي مَنْزِلِهِ، فَاشْتَرَى مِنْهُ رَحْلًا، فَقَالَ لِعَازِبٍ ﷺ: ابْعَثِ ابْنَكَ يَحْمِلْهُ مَعِي، قَالَ: فَحَمَلْتُهُ مَعَهُ، وَخَرَجَ أَبِي يَنْتَقِدُ ثَمَنَهُ، فَقَالَ لَهُ أَبِي: يَا أَبَا بَكْرٍ، حَدِّثْنِي كَيْفَ صَنَعْتُمَا حِينَ سَرَيْتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: نَعَمْ، أَسْرَيْنَا لَيْلَتَنَا وَمِنَ الغَدِ، حَتَّى قَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ وَخَلاَ الطَّرِيقُ لاَ يَمُرُّ فِيهِ أَحَدٌ، فَرُفِعَتْ لَنَا صَخْرَةٌ طَوِيلَةٌ لَهَا ظِلٌّ، لَمْ تَأْتِ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، فَنَزَلْنَا عِنْدَهُ، وَسَوَّيْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَكَانًا بِيَدِي يَنَامُ عَلَيْهِ، وَبَسَطْتُ فِيهِ فَرْوَةً، وَقُلْتُ: نَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا أَنْفُضُ لَكَ مَا حَوْلَكَ، فَنَامَ وَخَرَجْتُ أَنْفُضُ مَا حَوْلَهُ، فَإِذَا أَنَا بِرَاعٍ مُقْبِلٍ بِغَنَمِهِ إِلَى الصَّخْرَةِ، يُرِيدُ مِنْهَا مِثْلَ الَّذِي أَرَدْنَا، فَقُلْتُ لَهُ: لِمَنْ أَنْتَ يَا غُلاَمُ، فَقَالَ: لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ، أَوْ مَكَّةَ، قُلْتُ: أَفِي غَنَمِكَ لَبَنٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: أَفَتَحْلُبُ، قَالَ: نَعَمْ، فَأَخَذَ شَاةً، فَقُلْتُ: انْفُضِ الضَّرْعَ مِنَ التُّرَابِ وَالشَّعَرِ وَالقَذَى، قَالَ: فَرَأَيْتُ البَرَاءَ يَضْرِبُ إِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الأُخْرَى يَنْفُضُ، فَحَلَبَ فِي قَعْبٍ[(٢)] كُثْبَةً[(٣)] مِنْ لَبَنٍ، وَمَعِي إِدَاوَةٌ[(٤)] حَمَلْتُهَا

(١) ما بين المعكوفتين من كتاب (فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة) (ص: ١٣٨).

(٢) القعب: مَعْرُوف وَهُوَ الْقدح من الْخشب، وَالْجمع قعاب. جمهرة اللغة، لابن دريد (١/ ٣٦٥) مادة (قَعْب).

(٣) الكُثْبَةُ: الطَّائِفَةُ مِنْ طَعَامٍ أوشرابٍ أَو تَمْرٍ، أَو تُرابٍ، أَو غَيْرِهِ، ذالك بعدَ أَن يكونَ قَلِيلا. تاج العروس (٤/ ١٠٩) مادة (كَثْب).

(٤) الإداوَةُ، بالكسْرِ: المِطْهَرَةُ، وَهِي إناءٌ صَغيرٌ من جلْدٍ يُتَّخَذُ للماءِ كالسَّطِيحةِ. تاج العروس (٣٧/ ٥١) مادة (أَدْو).

لِلنَّبِيِّ ﷺ يَرْتَوِي مِنْهَا، يَشْرَبُ وَيَتَوَضَّأُ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُ، فَوَافَقْتُهُ حِينَ اسْتَيْقَظَ، فَصَبَبْتُ مِنَ الماءِ عَلَى اللَّبَنِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ، فَقُلْتُ: اشْرَبْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيتُ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَمْ يَأْنِ لِلرَّحِيلِ» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَارْتَحَلْنَا بَعْدَمَا مَالَتِ الشَّمْسُ، وَاتَّبَعَنَا سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ، فَقُلْتُ: أُتِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا» فَدَعَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَارْتَطَمَتْ بِهِ فَرَسُهُ إِلَى بَطْنِهَا – أُرَى – فِي جَلَدٍ مِنَ الأَرْضِ، – شَكَّ زُهَيْرٌ[1] – فَقَالَ: إِنِّي أُرَاكُمَا قَدْ دَعَوْتُمَا عَلَيَّ، فَادْعُوَا لِي، فَاللَّهُ لَكُمَا أَنْ أَرُدَّ عَنْكُمَا الطَّلَبَ، فَدَعَا لَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَنَجَا، فَجَعَلَ لاَ يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا قَالَ: قَدْ كَفَيْتُكُمْ مَا هُنَا، فَلاَ يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا رَدَّهُ، قَالَ: وَوَفَى لَنَا ".[2]

ومع كل ما سبق ظَلَّ النَّبيُّ ﷺ واثقاً في معيةِ ربه سبحانه وتعالى، مُوْقِنَاً أنَّ الله تعالى لن يتخلى عنه، كيف وهو سبحانه وتعالى الذي أرسله وبعثه برسالته، واصطفاه على سائر خلقه.

(١) هو (زُهَيْر بنُ مُعَاوِيَةَ بنِ حُدَيْجِ بنِ الرُّحَيْلِ الجُعْفِيُّ)، أحد رجال الإسناد، وقد أخرج له الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما.

(٢) أخرجه البخاري في: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٤/ ٢٠١)ح ٣٦١٥ واللفظ له، ومسلم في: كتاب الزهد والرقائق، باب في حديث الهجرة ويقال له حديث الرحل بالحاء (٤/ ٢٣٠٩)ح ٢٠٠٩.

المطلب الثاني

(العامل الثاني: التَّخْطيطُ الجيّد)

المتأَمِلُ في سيرةِ النَّبيّ ﷺ وأحداثِها ووقائعِها يتحقق لديه دون أدنى شك أنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يكن من حاله أن يشْرَع في فعل شيء بعشوائية ودون تفكير، بل كان التخطيطُ مُكَوِّناً أساسياً في شخصيته ﷺ، وعاملاً مهماً في حياته ﷺ، وأمراً ظاهراً في أعماله، وأقصدُ بالتَّخطيط التدابير النبوية العملية التي اتخذها النَّبيُّ ﷺ بإحكام لإنجاح عملية الهجرة، وهو ما يؤكد ويدلل على أنَّ النَّبيَّ ﷺ وإن كان مؤيداً من الله سبحانه وتعالى إلا أنه ﷺ لم يتوان في استنفاذِ الأسباب المادية، والأخذِ بها، ووضعِهَا في الحُسبان، مع توكُّلِهِ التَّام على الله سبحانه وتعالى، لإنجاح الهجرة.

وإن المُتَمَعِنَ في أحداثِ الهجرة النَّبوية يرى أن التَّخطيط العملي الجيّد من النَّبي ﷺ المُسَدَّد بالوحي كان قائماً وظاهراً وواضحاً في كل أحداثها من بدايتها إلى نهايتها، والوصول بحول الله تعالى وقوته وحفظه إلى المدينة المنورة بأمان، فوضوح الهدف من الهجرة، وتهيئة بيئة المدينة، واختيار الصَّاحب والرَّفيق، وتحديد الوسائل، وتأمين الزَّاد، واستئجار الدليل لتحديد طريق السير، وتوقُّع العقبات والعراقيل ووضع الحلول لها، كل ذلك وضعه النَّبيُّ ﷺ في الحُسبان، وأخذ به، مما يَنُمُّ عن تخطيطٍ دقيقٍ، وترتيبٍ مُنعدم النظير، ويبرهنُ على أن نجاح الهجرة النبوية لم يكن من قبيل الصُّدْفة.

ومما هو جدير بالذكر أن قدرة الله تعالى نافذة، وإرادته ماضية، ومشيئته سارية، وكان من الممكن أن يجعل الله ﷻ هجرة نبيه ﷺ في لمحةٍ ولحظة، وأن يقضي على المشركين جميعاً؛ ليُمَهِّد البيئة والظروف لهجرة نبيه ﷺ في أمان وطمأنينة، لكن إرادة الله سبحانه وتعالى اقتضت أن تسير أمور الدعوة والرسالة على عادة البشر وسنن الحياة، لنتعلم ونتأسى برسولنا ﷺ، هذا ويمكن إجمال تخطيط النَّبيّ ﷺ لهجرته للمدينة في النقاط التالية، ثم أقوم ببيانها بشيءٍ من التفصيل:

١_ تحديد الهدف من الهجرة.

٢_ تهيئة بيئة المدينة للهجرة.

٣_ اختيار الصَّاحب والرَّفيق.

٤_ تجهيز الوسائل والأدوات المطلوبة للهجرة.

٥_ توزيع الأدوار حسْب ما يُجِيدُه كل فرد من الأفراد المشاركين في الهجرة.

٦_ الاستعانة بأهل الخبرة والأمانة.

٧_ استعمال التعمية والتورية لتضليل المطاردين.

وفيما يلي الحديث عن هذه الأمور بالتفصيل:

أولاً: تحديد الهدف من الهجرة:

حرص النَّبيُّ ﷺ منذ الوهلة الأولى على تحديد الهدف من الهجرة، فبعد أن تمادى كفار قريش في غيّهم وإيذائهم لرسول الله ﷺ وأتباعه، كان لزاماً على رسول الله ﷺ أن يهاجر إلى مكان آخر حتى يستطيع المسلمون أن يعبدوا الله تعالى فيه دون خوف، وأن يُبلِّغَ دين الله للناس دون أن يحول بينه وبين ذلك حائل، وإذا كان الهدف الأسمى للإسلام هو دخول الناس في دين الله تعالى، فقد كانت الهجرة النبوية تمثل الحدث الأمثل للنَّبيّ ﷺ لتحقيق هذا الهدف، ومن خلال ذلك يمكن توضيح أهداف الهجرة النبوية فيما يلي:

أ- بناء دولة ووطن للإسلام:

من أعظم الأمور التي كانت هدفاً لهجرة النَّبيّ ﷺ هو بناء دولة إسلامية قوية متماسكة، تُظِلُّ تحتَ لوائها كُلَّ مَن آمَن بالله تعالى، ويستطيعُ كل فردٍ فيها أن يَعبُد الله – تعالى – في أمان ودون خَوْف، وإنشاء وطن يحوي الدعوة الإسلامية ويحميها ويزود عن حياضها، ويكون هو نقطة الانطلاق لتبليغ رسالة الله تعالى، وقد كان هذا الهدف يراود رسول الله ﷺ دوماً، فقد ثبت من حديث أَبِي مُوسَى ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ:

«**رَأَيْتُ فِي المَنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي إِلَى أَنَّهَا اليَمَامَةُ أَوْ هَجَرُ، فَإِذَا هِيَ المَدِينَةُ يَثْرِبُ** ...»الحديث[(١)].

فقد كانت الهجرة النبوية من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة نقلةً نوعيةً في مسيرة الإسلام، وعلامةً فارقةً في تاريخ الدعوة المحمدية، وتحوُّل من بيئة شبه محاصرة إلى عالم مفتوح متعدد الأعراف والاتجاهات، وانطلاقة استباقية لجذب الكيانات المتواجدة في يثرب، تلك المدينة التي كانت تحوي الأوس والخزرج وبعض القبائل الأخرى، إذ ليس لها تاريخ بارز مع ديانة إبراهيم –عليه السلام– فلا يوجد بها ما يسعى الناس إليه كالكعبة المشرفة، والصفا والمروة ومنى وعرفة، وسائر المناسك الأصيلة، التي صارت مع غيرها أعماقًا متجذرة، وأصولًا داعمة للإسلام في البلد الحرام، ذلك الدين الجديد الذي قُوْبِلَ بصعوبات وتحديات في تبليغه وانتشاره، داخل أم القرى والبلدان المجاورة لها.[(٢)]

ب – توحيد المسلمين، وتعزيز علاقاتهم الاجتماعية:

من الأهداف التي من أجلها هاجر النَّبيُّ ﷺ أيضاً هو جمع المسلمين في مكان واحد، وتعزيز قوتهم، وتحقيق وحدتهم، وتقوية الروابط والأواصر فيما بينهم، والقَضاء على الضَّغائن والعصبيَّة والقَبَلِيَّة التي كانت بينهم قبل الإسلام، وتَوحِيدها تحت رايةٍ واحدة، معتصمين بحبل الله المتين، ولذلك كان من أول الأعمال التي قام بها النَّبيُّ ﷺ عقب هجرته المباركة مباشرة هو المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار لبناء المجتمع الإسلامي المتماسك، فقد أخرج الإمام الشيخان – رحمهما الله – بسنديهما من حديث أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: «**حَالَفَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ الأَنْصَارِ وَقُرَيْشٍ فِي دَارِي الَّتِي بِالْمَدِينَةِ، وَقَنَتَ**

(١) أخرجه البخاري في: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٤/ ٢٠٣)ح ٣٦٢٢ واللفظ له، ومسلم، كتاب الرؤيا، ٤ – باب رؤيا النبي ﷺ (٤/ ١٧٧٩)ح ٢٢٧٢.

(٢) "حديث القرآن الكريم عن الهجرة إلى المدينة المنورة" مقال أ. د/ السيد محمد الديب، مجلة الأزهر الشريف، تاريخ النشر، جمادي الآخرة ١٤٤٤ هـ | يناير ٢٠٢٣ م.

شَهْرًا يَدْعُو عَلَى أَحْيَاءٍ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ»[(١)].

ولذلك حثَّ النَّبيُّ ﷺ أصحابه ﷺ إلى الهجرة إلى المدينة ليلحقوا بإخوانهم من الأنصار الذين بايعوا النَّبيَّ ﷺ على الإسلام والنصرة له ولمن تبعه.

قال الإمام مُحَمَّد بن إسحاق (رحمه الله):" فلما أذن الله تعالى له ﷺ في الحرب، وبايعه هذا الحي من الأنصار على الإسلام والنصرة له ولمن اتبعه، وأوى إليهم من المسلمين، أمر رسول الله ﷺ أصحابه من المهاجرين من قومه، ومن معه بمكة من المسلمين، بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها، واللحوق بإخوانهم من الأنصار، وقال: " إنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ إخْوَانًا وَدَارًا تَأْمَنُونَ بِهَا "[(٢)]. فخرجوا أَرْسَالاً[(٣)]، وأقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة، والهجرة إلى المدينة ".[(٤)]

ت – تبليغ رسالة الله تعالى للناس:

حيثُ كان كفار قريش حَجَرَ عَثْرة أمام الدعوة الإسلامية، وكانت الهجرة السبيل الأمثل لنشر دين الإسلام، ودعوة المزيد من الناس إليه، وإزالة العقبات التى كانت تحول دون تبليغ رسالة الله تعالى إلى الناس، ولذلك تحولت المدينة بعد هجرة النَّبيِّ ﷺ إليها إلى نقطة انطلاق لنشر الدين، وعَمِلَ النَّبيُّ ﷺ على إعداد أتباعه وأصحابه – رضوان الله عليهم – الإعداد الجيد للقيام بواجب تبليغ الدعوة الإسلامية.

هذا، وقد نجَحَ النَّبيُّ ﷺ – بتوفيق الله تعالى – في تحقيق هذه الأهداف، فقد تم

---

(١) أخرجه البخاري في: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، بَابُ مَا ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ وَحَضَّ عَلَى اتِّفَاقِ أَهْلِ العِلْمِ، وَمَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ الحَرَمَانِ مَكَّةُ، وَالمَدِينَةُ، وَمَا كَانَ بِهَا مِنْ مَشَاهِدِ النَّبِيِّ ﷺ وَالمُهَاجِرِينَ، وَالأَنْصَارِ، ... (٩/ ١٠٥)ح ٧٣٤٠ واللفظ له، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب مؤاخاة النبي ﷺ بين أصحابه ﷺ (٤/ ١٩٦٠)ح ٢٥٢٩.

(٢) أورده ابن هشام في السيرة النبوية عن ابن إسحاق (١/ ٤٦٨) بدون إسناد.

(٣) أَي جَمَاعَةً جَمَاعَةً. لسان العرب (١١/ ٢٨١) مادة (رِسْل).

(٤) سيرة ابن هشام (١/ ٤٦٨).

تأسيس دولة إسلامية قوية متماسكة، وتمكن النَّبيُّ ﷺ من تحقيق الوحدة بين أفراد المسلمين من مهاجرين وأنصار بنجاح في المدينة المنورة، وَبَلَّغَ النَّبيُّ ﷺ رسالةَ ربه إلى الناس، ولاقَتْ الرسالة نجاحاً عظيماً في المدينة وما جاورها من المناطق، وانتشر الدين الإسلامي في ربوع الأرض، ودخل الناس في دين الله أفواجا.

ثانياً: تهيئة بيئة المدينة للهجرة:

لم يَشْرع النَّبيُّ ﷺ في الهجرة إلى المدينة من أول لقاء حدث بينه وبين الأنصار ﷺ الذين بايعوه ﷺ عند العقبة في البيعة الأولى[١]، وإنَّما ظلَّ النَّبيُّ ﷺ لأكثر من عامين؛ ليتأكد من صلاحية البيئة المدنية لاحتضان رسالة الله تعالى، ودعوة نبيه ﷺ، ولِيَقِف على الخصائص الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأمنية للمدينة قبل الهجرة إليها، وبالفعل تأكد لدى النَّبيّ ﷺ هذا الأمر مما لا يدع مجالاً للشك، وهذا ما ظهر جلياً في بيعة العقبة الثانية[٢]، حيث أخذ الأنصار على أنفسهم أشد المواثيق حتى ينالوا شرف هجرة النَّبيّ ﷺ إليهم، ولصدقهم هموا أن ينقضوا على أهل منى بسيوفهم، ولكن بيَّنَ النَّبيُّ ﷺ لهم أنه لم يؤمر بذلك.

قال الإمام مُحَمَّد ابن إسحاق (رحمه الله):" لما أذن الله تعالى له ﷺ في الحرب، وبايعه هذا الحي من الأنصار على الإسلام والنصرة له ولمن اتبعه، وأوى إليهم من المسلمين، أمر رسول الله ﷺ أصحابه من المهاجرين من قومه، ومن معه بمكة من المسلمين، بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها، واللحوق بإخوانهم من الأنصار، وقال: إن الله عز وجل قد جعل لكم إخوانا ودارا تأمنون بها، فخرجوا أرسالا، وأقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة، والهجرة إلى المدينة ".[٣]

(١) ينظر: سيرة ابن هشام (١/ ٤٢٨، ٤٢٩).

(٢) ينظر: المصدر السابق (١/ ٤٣٨ : ٤٤٣).

(٣) المصدر السابق (١/ ٤٦٨).

كما كان من جملة تهيئة المدينة للهجرة النبوية الشريفة، أن بعث النَّبيُّ ﷺ الصحابي الجليل مصعب بن عمير ﷺ إلى المدينة ليعلمهم أمور دينهم، ويصلي بهم.

قَالَ الإمامُ ابْنُ إِسْحَاق (رحمه الله):" فَلَمَّا انْصَرَفَ عَنْهُ[أي رسول الله ﷺ] الْقَوْمُ [أي أهل بيعة العقبة الأولى]، بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَهُمْ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُقْرِئَهُمْ الْقُرْآنَ، وَيُعَلِّمَهُمْ الْإِسْلَامَ، وَيُفَقِّهَهُمْ فِي الدِّينِ، فَكَانَ يُسَمَّى الْمُقْرِئَ بِالْمَدِينَةِ: مُصْعَبٌ ﷺ، وَكَانَ مَنْزِلُهُ عَلَى أَسْعَدِ بْنِ زُرَارَةَ بْنِ عُدَسَ، أَبِي أُمَامَةَ ".(١)

وَثَبَتَ عند الإمامِ البخاري (رحمه الله) من حديثِ البَرَاء بْن عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ:" أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَكَانَا يُقْرِئَانِ النَّاسَ ...." الحديث.(٢)

من ذلك نعلم أن النَّبيَّ ﷺ عَمِلَ على تهيئة البيئة المدنية قبل الهجرة، وذلك بعد تحليل دقيق وشامل للبيئة الداخلية والخارجية والتكوين السكاني للمدينة، ولكافة الجوانب الدينية والأمنية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والجغرافية، وكل ذلك يُظْهِر التخطيط المحكم والدقيق من رسول الله ﷺ للهجرة النبوية.

ثالثاً: اختيار الصَّاحب والرَّفيق:

مما لا شك فيه أن اختيار الصاحب الصالح، والصديق المخلص له بالغ الأثر في نجاح أي عمل، وهذا ما ظهر جلياً في هجرة النَّبيّ ﷺ المباركة، حيث وقع الاختيار على أطهر الناس قلباً بعد رسول الله ﷺ، وأصدقهم سريرةً، وأخلصهم صحبةً، ألا وهو سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ.

ومما لا شك فيه أيضاً أن اختيار سيدنا أبا بكر الصديق ﷺ ليكون صاحب

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٤٣٤).

(٢) أخرجه البخاري في: كتاب مناقب الأنصار، باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة (٥/ ٦٦)ح ٣٩٢٥.

رسول الله ﷺ في هذا الحدث الجَلَل، والذي لا يضاهيه أمر آخر إنما هو اختيار الله تعالى كما بَيَّنَ النَّبيُّ ﷺ عندما همَّ الصديق ﷺ بالهجرة في بادئ الأمر، فقد أخرج الإمام البخاري (رحمه الله) في صحيحه من حديث أمِ المؤْمنينَ السيدةِ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ:" هَاجَرَ نَاسٌ إِلَى الحَبَشَةِ مِنَ المسْلِمِينَ، وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَى رِسْلِكَ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَوَ تَرْجُوهُ بِأَبِي أَنْتَ؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ لِصُحْبَتِهِ .... ". الحديث.(١)

وأخرج الإمام الحاكم (رحمه الله) من حديث عَلِيٍّ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِجِبْرِيلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:" مَنْ يُهَاجِرُ مَعِي؟ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ " .(٢)

ومما لا شك فيه أيضاً أن اختيار الله تعالى للصديق ﷺ ليكون صاحب النَّبيِّ ﷺ في أعظم وأخطر حدث في تاريخ الرسالة المحمدية ــ وذلك بعد فضل الله تعالى ومَنِّه ــ لم يكن من دون سبب، بل سبق ذلك من المقدمات والمواقف الجليلة التي وضعت الصديق ﷺ في مَصَافِّ الصحابة الكرام ﷺ، بل أصفاهم وأنقاهم وأخلصهم لله تعالى، ثم لرسوله ﷺ، فقد كان حالُ الصديق ﷺ مع رسول الله ﷺ منذ بعثته ﷺ، وتصديقه لرسالة النبي ﷺ من اللحظة الأولى هو المؤهِل والمرجِّح لاختياره لهذا الأمر بعد فضل الله تعالى، ففي الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري(رحمه الله) عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ، قَالَ:" كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرَفِ ثَوْبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ» فَسَلَّمَ وَقَالَ: إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الخَطَّابِ شَيْءٌ ....، **وفيه**، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي»

(١) أخرجه البخاري في: كِتَاب اللِّبَاس، بَابُ التَّقَنُّعِ (٧/ ١٤٥)ح ٥٨٠٧.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، كِتَابُ الْهِجْرَةِ وَقَدْ صَحَّ أَكْثَرُ أَخْبَارِهَا عِنْدَ الشَّيْخَيْنِ (٣/ ٦)ح ٤٢٦٦، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَالْمَتْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، ووافقه الذهبي.

مَرَّتَيْنِ، فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا ".[١]

وقد بكى أبو بكر ﷺ من فرط السرور؛ لأنه أدرك مدى النعمة التي مَنَّ الله بها عليه، إذ شرفه بصحبة الرسول ﷺ في هذا الوقت العصيب، وفي تلك الرحلة الخالدة التي ستكون حدًّا فاصلًا بين الحق والباطل، وسيتقرر بها مصير الإسلام والمسلمين.[٢]

"ولقد كان أبو بكر ﷺ على مستوى هذه المزية التي أكرمه الله بها، فقد كان مثال الصاحب الصادق، بل والمضحي بروحه وكل ما يملك من أجل رسول الله ﷺ، ولقد رأينا كيف أَبَى إلا أن يسبق رسول الله ﷺ في دخول الغار كي يجعل نفسه فداء له عليه الصلاة والسلام فيما إذا كان فيه سبع أو حية أو أي مكروه ينال الإنسان منه الأذى، ورأينا كيف جنّد أمواله وابنه وابنته ومولاه وراعي أغنامه في سبيل خدمة رسول الله صلّى الله عليه وسلم في هذه الرحلة الشاقة الطويلة "[٣]، فعن مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ، قَالَ:" ذَكَرَ رِجَالٌ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ ﷺ، فَكَأَنَّهُمْ فَضَّلُوا عُمَرَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ ﷺ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَلَيْلَةٌ مِنْ أَبِي بَكْرٍ خَيْرٌ مِنْ آلِ عُمَرَ، وَلَيَوْمٌ مِنْ أَبِي بَكْرٍ خَيْرٌ مِنْ آلِ عُمَرَ، لَقَدْ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيَنْطَلِقَ إِلَى الْغَارِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، فَجَعَلَ يَمْشِي سَاعَةً بَيْنَ يَدَيْهِ، وَسَاعَةً خَلْفَهُ حَتَّى فَطِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا لَكَ تَمْشِي سَاعَةً بَيْنَ يَدَيْ وَسَاعَةً خَلْفِي؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَذْكُرُ الطَّلَبَ فَأَمْشِي خَلْفَكَ، ثُمَّ أَذْكَرُ الرَّصْدَ، فَأَمْشِي بَيْنَ يَدَيْكَ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، لَوْ كَانَ شَيْءٌ أَحْبَبْتَ أَنْ يَكُونَ بِكَ دُونِي؟» قَالَ: نَعَمْ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا كَانَتْ لِتَكُونَ مِنْ مُلِمَّةٍ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بِي دُونَكَ، فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى الْغَارِ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَكَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَتَّى أَسْتَبْرِئَ لَكَ الْغَارَ، فَدَخَلَ وَاسْتَبْرَأَهُ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي أَعْلَاهُ ذَكَرَ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَبْرِئِ الْجُحْرَةَ،

(١) أخرجه البخاري في: كتاب أصحاب النبي ﷺ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا» (٥/ ٥)ح ٣٦٦١.

(٢) القول المبين في سيرة سيد المرسلين، للأستاذ الدكتور/ مُحَمَّد الطيب النجار (ص: ١٧٥).

(٣) ما بين المعكوفتين من كتاب "فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة"، (ص: ١٣٧).

فَقَالَ: مَكَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَتَّى أَسْتَبْرِئَ الْحُجْرَةَ، فَدَخَلَ وَاسْتَبْرَأَ، ثُمَّ قَالَ: انْزِلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَنَزَلَ، فَقَالَ عُمَرُ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لِتِلْكَ اللَّيْلَةُ خَيْرٌ مِنْ آلِ عُمَرَ ".[(١)]

قال الإمام أبو نعيم الأصبهاني (رحمه الله) في التعريف بأبي بكر الصديق ﷺ:"أبو بكر الصدّيق، السَّابقُ إلى التصديق، الْمُلَقَّبُ بِالْعَتِيقِ، المؤيَّد من الله بالتوفيق، صاحب النَّبيّ ﷺ في الحَضَر والأسفار، ورفيقه الشفيق في جميع الأطوار، وضجيعه بعد الموت في الروضة المحفوفة بالأنوار، المخصوص في الذكر الحكيم بمفخرٍ فاق به كافة الأخيار، وعامة الأبرار، وبقي له شرفه على كُرُورِ الأعصار، ولم تَسْمُ إلى ذروته هِمَمُ أولي الأيدي والأبصار، حيث يقول عالم الأسرار: ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ ﴾[(٢)]، إلى غير ذلك من الآيات والآثار، ومشهور النصوص الواردة فيه والأخبار، التي غَدَتْ كالشمس في الانْتشار".[(٣)]

رابعاً: تجهيز الوسائل والأدوات المطلوبة للهجرة:

كان من تمام التخطيط، وبراعة الإعداد للهجرة النبوية (تجهيزه ﷺ للوسائل والأدوات المطلوبة للهجرة)، وقد تمثلت هذه الوسائل في (**تجهير الراحلة**)، و(**تحديد مكان الاختباء عن أعين المشركين**)، و(**استئجار الدليل لمعرفته بالطرق**)، و(**تجهيز الأموال المطلوبة للرحلة**).

أما عن تجهيز الراحلة، فلقد شرع الصديق ﷺ فور تبليغ النبي ﷺ إياه بالهجرة وبشارته له بأنه سيكون صاحبه فيها في تجهير راحلتين كانتا عنده حبسهما مدة أربعة أشهر لهذه اللحظة.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، كِتَابُ الْهِجْرَةِ وَقَدْ صَحَّ أَكْثَرُ أَخْبَارِهَا عِنْدَ الشَّيْخَيْنِ (٣/ ٧)ح ٤٢٦٨، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، لَوْلَا إِرْسَالٌ فِيهِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، ووافقه الذهبي وقال: صحيح مرسل.

(٢) {سورة التوبة: من الآية ٤٠}.

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، طبعة دار السعادة – مصر (١/ ٢٨).

وأما عن تحديد مكان الاختباء عن أعين المشركين، فقد عَمَدَ النَّبيُّ ﷺ إلى غارٍ في جبل ثور للمبيت فيه مدة لحين هدوء الطلب من قريش، فمكثا فيه ثلاث ليال.

وأما عن استئجار الدليل، فقد استأجر النَّبيُّ ﷺ دليلاً ماهراً عارفاً بالطرق ليكون دليله في هذه الرحلة المباركة، وكان رجلاً من بني الديل اسمه (عبد الله بن أريقط)، وكان خريتاً ماهراً بطرق السير، وكان المهم في استئجار الدليل أن يكون عالماً بالطريق أمينا، في سلوكه وأخلاقه، وهذا ما أثبتته الأحداث، فقد سار الدليل بهما في طريق وعرة، بعيدة عن أعين المشركين.

وكل ذلك بيَّنَتْهُ أُمُ المؤْمنينَ السيدةُ عَائِشةُ -رضي الله عنها- في الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري، حيثُ قَالَتْ:" لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ، إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ[1]، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَرَفَيِ النَّهَارِ، بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، فَلَمَّا ابْتُلِيَ المسْلِمُونَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا نَحْوَ أَرْضِ الحَبَشَةِ ...، **وفيه**: فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قِبَلَ المدِينَةِ، وَرَجَعَ عَامَّةُ مَنْ كَانَ هَاجَرَ بِأَرْضِ الحَبَشَةِ إِلَى المدِينَةِ، وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ قِبَلَ المدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَى رِسْلِكَ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بِأَبِي أَنْتَ؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَصْحَبَهُ، وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمُرِ[2] وَهُوَ الخَبَطُ[3]، أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ. قَالَ ابْنُ شِهَابٍ، قَالَ: عُرْوَةُ، قَالَتْ عَائِشَةُ ــ رضي الله عنها ــ: فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ

(١) (يَدينان الدين): أي: عهدُهما منذُ عقلتُ وهما على دين الإسلام. مصابيح الجامع، لبدر الدين الدَّمَامِيني (٥/ ١٨٣).

(٢) (ورق السَّمُر): بفتح المهملة وضمّ الميم، واحدتها السَّمُرَة مِنْ شَجَرِ الطَّلْحِ، وهو شجر صِغَارُ الوَرَقِ قِصَارُ الشَّوْكِ. لسان العرب (٤/ ٣٧٩)، وتاج العروس (١٢/ ٧٧) مادة (سَمَرَ).

(٣) الخَبْطُ: ضرب ورق الشجر حتى ينحات عنه، ثم يستخلف من غير أن يضر ذلك بأصل الشجرة وأغصانها. وقال الليث: الخبط: خبط ورق العضاه من الطلح ونحوه يخبط بالعصا فيتناثر ثم يعلف الإبل. لسان العرب (٧/ ٢٨١) مادة (خَبَطَ). وقوله في الحديث (وَهُوَ الخَبَطُ) مُدْرَجٌ وَهُوَ مِنْ تَفْسِيرِ الزُّهْرِيِّ، حيث وردت باقي الروايات بدونها. فتح الباري لابن حجر (٧/ ٢٣٥).

الظَّهِيرَةِ، قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَقَنِّعًا[١]، فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي، وَاللَّهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ، قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَأْذَنَ، فَأُذِنَ لَهُ فَدَخَلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ: «أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ، بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الخُرُوجِ» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصَّحَابَةُ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَخُذْ – بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ – إِحْدَى رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بِالثَّمَنِ». قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ الجِهَازِ، وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي جِرَابٍ، فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا[٢]، فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَى فَمِ الجِرَابِ، فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ قَالَتْ: ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ، فَكَمَنَا فِيهِ ثَلاَثَ لَيَالٍ، يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَهُوَ غُلاَمٌ شَابٌّ، ثَقِفٌ[٣] لَقِنٌ[٤]، فَيُدْلِجُ[٥] مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ، فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ، فَلاَ يَسْمَعُ أَمْرًا، يُكْتَادَانِ[٦] بِهِ إِلَّا وَعَاهُ، حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلاَمُ، وَيَرْعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً[٧] مِنْ غَنَمٍ، فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ العِشَاءِ، فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلٍ، وَهُوَ لَبَنُ مِنْحَتِهِمَا وَرَضِيفِهِمَا[٨]، حَتَّى يَنْعِقَ[٩] بِهَا عَامِرُ بْنُ

(١) سبق بيانها في المبحث الأول، تحت المطلب الرابع: (نماذج من العملِ التَّشَارُكي من السِّيرةِ النَّبوية) (الهجرة النبوية).
(٢) سبق بيانها في المبحث الأول، تحت المطلب الرابع: (نماذج من العملِ التَّشَارُكي من السِّيرةِ النَّبوية) (الهجرة النبوية).
(٣) سبق بيانها في المبحث الأول، تحت المطلب الرابع: (نماذج من العملِ التَّشَارُكي من السِّيرةِ النَّبوية) (الهجرة النبوية).
(٤) سبق بيانها في المبحث الأول، تحت المطلب الرابع: (نماذج من العملِ التَّشَارُكي من السِّيرةِ النَّبوية) (الهجرة النبوية).
(٥) سبق بيانها في المبحث الأول، تحت المطلب الرابع: (نماذج من العملِ التَّشَارُكي من السِّيرةِ النَّبوية) (الهجرة النبوية).
(٦) سبق بيانها في المبحث الأول، تحت المطلب الرابع: (نماذج من العملِ التَّشَارُكي من السِّيرةِ النَّبوية) (الهجرة النبوية).
(٧) سبق بيانها في المبحث الأول، تحت المطلب الرابع: (نماذج من العملِ التَّشَارُكي من السِّيرةِ النَّبوية) (الهجرة النبوية).
(٨) سبق بيانها في المبحث الأول، تحت المطلب الرابع: (نماذج من العملِ التَّشَارُكي من السِّيرةِ النَّبوية) (الهجرة النبوية).
(٩) سبق بيانها في المبحث الأول، تحت المطلب الرابع: (نماذج من العملِ التَّشَارُكي من السِّيرةِ النَّبوية) (الهجرة النبوية).

فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ[١]، يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلاَثِ، وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدِّيلِ[٢]، وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ، هَادِيَا خِرِّيتًا، وَالخِرِّيتُ المَاهِرُ بِالهِدَايَةِ، قَدْ غَمَسَ حِلْفًا فِي آلِ العَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ، وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَأَمِنَاهُ فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا، وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، بِرَاحِلَتَيْهِمَا صُبْحَ ثَلاَثٍ، وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، وَالدَّلِيلُ، فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَاحِلِ.[٣]

وأما عن تجهيز الأموال المطلوبة للرحلة، فقد ظهر ذلك من خلال قول النَّبيّ ﷺ لسيدنا أبي بكر ﷺ في الحديث السَّابق (بالثمن)، عندما عرض عليه الصديقُ أبو بكر ﷺ إحدى الراحلتين.

كما ظهر ذلك أيضاً من خلال أخْذ سيدنا أبي بكر ﷺ لكل ماله عند خروجه مع النَّبيّ ﷺ، فقد أخرج الإمام أحمد (رحمه الله) بسنده من حديثِ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ – ﷺ – ، قَالَتْ:" لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَخَرَجَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، احْتَمَلَ أَبُو بَكْرٍ مَالَهُ كُلَّهُ مَعَهُ: خَمْسَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ، أَوْ سِتَّةَ آلَافِ دِرْهَمٍ" قَالَتْ: " وَانْطَلَقَ بِهَا مَعَهُ ". قَالَتْ: " فَدَخَلَ عَلَيْنَا جَدِّي أَبُو قُحَافَةَ وَقَدْ ذَهَبَ بَصَرُهُ، فَقَالَ: وَاللهِ إِنِّي لَأَرَاهُ قَدْ فَجَعَكُمْ بِمَالِهِ مَعَ نَفْسِهِ، قَالَتْ: قُلْتُ: كَلَّا يَا أَبَهْ[٤]، إِنَّهُ قَدْ تَرَكَ لَنَا خَيْرًا كَثِيرًا ". قَالَتْ: قَالَتْ: " فَأَخَذْتُ أَحْجَارًا، فَوَضَعْتُهَا فِي كُوَّةِ[٥] الْبَيْتِ، كَانَ أَبِي يَضَعُ فِيهَا مَالَهُ، ثُمَّ وَضَعْتُ عَلَيْهَا ثَوْبًا، ثُمَّ أَخَذْتُ بِيَدِهِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَهْ، ضَعْ يَدَكَ عَلَى هَذَا الْمَالِ ".

(١) سبق بيانها في المبحث الأول، تحت المطلب الرابع: (نماذج من العملِ التَّشَارُكي من السِّيرةِ النَّبوية) (الهجرة النبوية).

(٢) سبق بيانها في المبحث الأول، تحت المطلب الرابع: (نماذج من العملِ التَّشَارُكي من السِّيرةِ النَّبوية) (الهجرة النبوية).

(٣) أخرجه البخاري في: كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة (٥/ ٥٩)ح ٣٩٠٥.

(٤) يقال في النداء: يا أبه، ويا أبتا، ويا أبتي، ومنه قوله تعالى: {يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ} [مريم: ٤٢]، قال الفراء: الهاء فيها فيها هاء وقفة، فكثرت في الكلام حتى صارت كهاء التأنيث وأدخلوا عليها الإضافة. الغريبين في القرآن والحديث (١/ ٤٠) مادة (أَبْه).

(٥) الكَوُّ والكَوَّةُ: الخَرْق فِي الْحَائِطِ والثَّقْب فِي الْبَيْتِ وَنَحْوُهُ. لسان العرب (١٥/ ٢٣٦) مادة (كوو).

قَالَــتْ:

" فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: لَا بَأْسَ، إِنْ كَانَ قَدْ تَرَكَ لَكُمْ هَذَا، فَقَدْ أَحْسَنَ، وَفِي هَذَا لَكُمْ بَلَاغٌ ". قَالَتْ: " وَلَا وَاللهِ مَا تَرَكَ لَنَا شَيْئًا، وَلَكِنِّي قَدْ أَرَدْتُ أَنْ أُسْكِنَ الشَّيْخَ بِذَلِكَ ".(١)

خامساً: توزيع الأدوار حسب ما يجيده كل فرد من الأفراد المشاركين في الهجرة:

فقد كان من براعة التخطيط للهجرة المباركة أن كان هناك بعض الأمور التي لا بد من القيام بها وهي (**تأمين الزاد**)، و(**الاطلاع على أخبار قريش**)، و(**إزالة آثار الأقدام**)، وقد أُسْنِدَتْ هذه المهام لصحابة أجلاء ﷺ قاموا بأدائها على أكمل وجه، وعلى أعلى قدر من الدقة والاتقان، فقد اختصت أسماء بنت أبي بكر –رضي الله عنها– بتأمين الزاد، واختص عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنه بالاطلاع على أخبار قريش وموافاة النبي ﷺ بها في الليل، واختص عامر بن فهيرة رضي الله عنه للإتيان بأغنام الصديق رضي الله عنه لمحو آثار الأقدام، وليأخذ النَّبيُّ ﷺ والصديقُ أبو بكر رضي الله عنه ما يحتاجان منها من لبن ولحم مدة إقامتهما في الغار، كما هو موضح في حديث أم المومنين السيدة عائشة _ رضي الله عنها _ السَّابق(٢).

وأخرج الإمام البخاريُ (رحمه الله) أيضاً بسنده من حديث أَسْمَاء بنت أبي بكر– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا–، قَالَتْ:" صَنَعْتُ سُفْرَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه، حِينَ أَرَادَ أَنْ يُهَاجِرَ إِلَى المدِينَةِ، قَالَتْ: فَلَمْ نَجِدْ لِسُفْرَتِهِ، وَلاَ لِسِقَائِهِ مَا نَرْبِطُهُمَا بِهِ، فَقُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ: «وَاللَّهِ مَا أَجِدُ شَيْئًا أَرْبِطُ بِهِ إِلَّا نِطَاقِي» قَالَ: فَشُقِّيهِ بِاثْنَيْنِ، فَارْبِطِيهِ: بِوَاحِدٍ

(١) أخرجه أحمد (٤٤/ ٥٢٠)ح ٢٦٩٥٧، والطبراني في الكبير (٢٤/ ٨٨)ح ٢٣٥، والحاكم في المستدرك، كِتَابُ الْهِجْرَةِ وَقَدْ صَحَّ أَكْثَرُ أَخْبَارِهَا عِنْدَ الشَّيْخَيْنِ ... (٣/ ٦)ح ٤٢٦٧ وقال:"هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ"، ووافقه الذهبي

(٢) سبق تخريجه في الصفحة السابقة.

السِّقَاءَ، وَبِالْآخَرِ السُّفْرَةَ، «فَفَعَلْتُ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ» ".[1]

قال الإمام ابن إسحاق (رحمه الله):" فأقام رسول الله ﷺ في الغار ثلاثا ومعه أبو بكر ﷺ وجعلت قريش فيه حين فقدوه مائة ناقة، لمن يرده عليهم، وكان عبد الله بن أبي بكر ﷺ يكون في قريش نهاره معهم، يسمع ما يأتمرون به، وما يقولون في شأن رسول الله ﷺ وأبي بكر ﷺ، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر، وكان عامر ابن فهيرة ﷺ، مولى أبي بكر ﷺ، يرعى في رعيان أهل مكة، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر، فاحتلبا وذبحا، فإذا عبد الله بن أبي بكر غدا من عندهما إلى مكة، اتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم حتى يعفي عليه، حتى إذا مضت الثلاث، وسكن عنهما الناس أتاهما صاحبهما الذي استأجراه ببعيريهما وبعير له، وأتتهما أسماء بنت أبي بكر ﷺ بسفرتهما، ونسيت أن تجعل لها عصاماً فَلَمَّا ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة، فإذا ليس لها عصام، فتحل نطاقها فتجعله عصاماً، ثم علقتها به، فكان يقال لأسماء: ذات النطاق، لذلك ".[2]

والمتأمل في توزيع النَّبيّ ﷺ لهذه الأدوار، وتحديد هذه المهام يرى بوضوح أن النَّبيَّ ﷺ قد أسند لكل واحد من هؤلاء الصحابة الكرام المهمة التي تناسب إمكاناته ومواهبه التي ميَّزَهُ الله تعالى بها، فإذا نظرنا إلى المهمة التي أسندت إلى عبد الله بن أبي بكر ﷺ نرى أنه كان الأجدر بها لما اشتهر به من الفطنة والذكاء وحسن التلقي لما يسمعه كما في حديث الإمام البخاري السَّابق، وفيه تقول السيدة عائشة –رضي الله عنها–:" يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَهُوَ غُلاَمٌ شَابٌّ، ثَقِفٌ لَقِنٌ، فَيُدْلِجُ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ، فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ، فَلاَ يَسْمَعُ أَمْرًا، يُكْتَادَانِ بِهِ إِلَّا وَعَاهُ، حَتَّى

(١) أخرجه البخاري في: كتاب الجهاد والسير، بَابُ حَمْلِ الزَّادِ فِي الغَزْوِ (٤/ ٥٤)ح ٢٩٧٩.

(٢) المصدر السابق (١/ ٤٨٦).

يَأْتِيهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلاَمُ "[١].

وكانت السيدة أسماء بنت أبي بكر ﷺ أهلاً لتأمين الزَّاد لرسول الله ﷺ ولوالدها ﷺ لما عُرِفَ عنها من الصبر، وحسن التَّصرف في الأمور، ففي حديث أَسْمَاء بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ ﷺ السابق، قَالَتْ: " لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَخَرَجَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، احْتَمَلَ أَبُو بَكْرٍ مَالَهُ كُلَّهُ مَعَهُ ...، **وفيه**: قَالَتْ: " فَأَخَذْتُ أَحْجَارًا، فَوَضَعْتُهَا فِي كُوَّةِ[٢] الْبَيْتِ، كَانَ أَبِي يَضَعُ فِيهَا مَالَهُ، ثُمَّ وَضَعْتُ عَلَيْهَا ثَوْبًا، ثُمَّ أَخَذْتُ بِيَدِهِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَهْ، ضَعْ يَدَكَ عَلَى هَذَا الْمَالِ ". قَالَتْ: " فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: لَا بَأْسَ، إِنْ كَانَ قَدْ تَرَكَ لَكُمْ هَذَا، فَقَدْ أَحْسَنَ، وَفِي هَذَا لَكُمْ بَلَاغٌ ". قَالَتْ:" وَلَا وَاللهِ مَا تَرَكَ لَنَا شَيْئًا، وَلَكِنِّي قَدْ أَرَدْتُ أَنْ أُسْكِنَ الشَّيْخَ بِذَلِكَ".[٣]

ووقع الاختيار على عامر بن فهيرة ﷺ ليأتي بأغنام الصديق أبي بكر ﷺ ليزيل بها آثار الأقدام لئلا يتعرف عليها المشركون، ويريحها على النَّبيّ ﷺ وصاحبه ﷺ فيأخذا منها ما يحتاجانه، لمناسبة هذه المهمة عمله الذي كان يعمل فيه، حيث كان مولى لأبي بكر ﷺ، وعُرِفَ عنه الفطنة والحكمة والأمانة، كما أن أنظار قريش لن تتجه إليه؛ لعدم مبالاتهم بمواليهم، فقد أخرج الإمام البخاري (رحمه الله) من حديث السيدة عائشة –ﷺ – قَالَتْ: اسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ ﷺ أَبُو بَكْرٍ فِي الخُرُوجِ حِينَ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الأَذَى، ...، **وفيه**: فَكَانَ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ غُلاَمًا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الطُّفَيْلِ بْنِ سَخْبَرَةَ، أَخُو عَائِشَةَ لِأُمِّهَا، وَكَانَتْ لِأَبِي بَكْرٍ مِنْحَةٌ[٤]، فَكَانَ يَرُوحُ بِهَا وَيَغْدُو عَلَيْهِمْ وَيُصْبِحُ، فَيَدَّلِجُ

(١) جزء من حديث أم المؤمنين السيدة عائشة – ﷺ – الذي سبق تخريجه في الصفحة قبل السابقة.

(٢) سبق بيانها في الصفحة السابقة.

(٣) سبق تخريجه في الصفحة قبل السابقة.

(٤) أَيْ غنمٌ فِيهَا لبنٌ. النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٣٦٤).

إِلَيْهِمَا ثُمَّ يَسْرَحُ، فَلاَ يَقْطُنُ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الرِّعَاءِ ..." الحديث.[1]

(١) أخرجه البخاري في: كتاب المغازي، بَابُ غَزْوَةِ الرَّجِيعِ، وَرِعْلٍ، وَذَكْوَانَ، وَبِئْرِ مَعُونَةَ، وَحَدِيثِ عَضَلٍ، وَالقَارَةِ، وَعَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ، وَخُبَيْبٍ وَأَصْحَابِهِ (٥/ ١٠٦)ح ٤٠٩٣.

سادساً: الاستعانة بأهل الخبرة والأمانة:

فقد ظَهَرَ هَذَا جلياً في هجرة النّبيّ ﷺ المباركة، حيث استأجر المصطفى ﷺ دليلاً ماهراً أميناً هو (عبدالله بن أُرَيقط)، وكان رجلًا مشركًا خبيرًا بطرق الصحراء، فقد أخرج الإمام البخاريُّ (رحمه الله) بسنده من حديث السيدة عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: «وَاسْتَأْجَرَ النَّبِيُّ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدِّيلِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ هَادِيًا خِرِّيتًا – الخِرِّيتُ: المَاهِرُ بِالهِدَايَةِ – قَدْ غَمَسَ يَمِينَ حِلْفٍ فِي آلِ العَاصِ بْنِ وَائِلٍ، وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَأَمِنَاهُ فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا، وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، فَأَتَاهُمَا بِرَاحِلَتَيْهِمَا صَبِيحَةَ لَيَالٍ ثَلاَثٍ، فَارْتَحَلاَ وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، وَالدَّلِيلُ الدِّيلِيُّ، فَأَخَذَ بِهِمْ أَسْفَلَ مَكَّةَ وَهُوَ طَرِيقُ السَّاحِلِ».(١)

قال الشيخ مُحَمَّد أبو زهرة (رحمه الله) بعد أن نقل عن ابن إسحاق (رحمه الله) الوصف الدقيق للطريق(٢) الذي سار فيه النَّبيُّ ﷺ وصاحبُه الصدّيقُ ﵁ في الهجرة:" هذا هو البيان الذى ذكرت فيه أسماء الأماكن التى مر بها ذلك الركب المبارك، فما ذكر كله أسماء أماكن فى الصحراء العربية، وهى مجاهل فيها، ما كان ليعلمها إلا خبير بها، وهو ذلك الدليل الذى كان عليماً بها، وكان أميناً على من معه مع بقائه على الشرك ".(٣)

فالمسلم له أن يستعين بغير المسلمين من ذوي الأمانة والثقة والخبرة في المجال الذي يريده، إذا لم يكن في المسلمين من هو كذلك.

ولهذا عَنْوَنَ الإمامُ البخاريُّ (رحمه الله) لهذا الحديث بقوله:" باب استئجار المشركين عند الضرورة، أو: إذا لم يوجد أهل الإسلام ".

(١) أخرجه البخاري في: كتاب الإجارة، باب استئجار المشركين عند الضرورة، أو: إذا لم يوجد أهل الإسلام (٣/ ٨٨)ح ٢٢٦٣.

(٢) ينظر تفاصيل الطريق الذي سار فيه النَّبيُّ ﷺ وصاحبه الصديق ﵁ في الهجرة في "سيرة ابن هشام" (١/ ٤٩١).

(٣) خاتم النبيين ﷺ (١/ ٤٦٢).

سابعاً: استعمال التعمية والتورية لتضليل المطاردين:

يُقْصَدُ بالتَّعْمِيَة: الإخْفاء والتَّلْبيس، وإظهار الشيء على غير مراده.(١)

والناظر في أحداث الهجرة النبوية يرى أن النَّبيَّ ﷺ، والصديقَ أبا بكر ﷺ استعملا التَّعْمية والتَّوْرية – وهو ما يعرف في هذه الآونه بـ (الخداع الاستراتيجي) – في أكثر من موطن، منها ما يلي:

أ – أَمْرُ النَّبيِّ ﷺ لسيدنا عَلِيّ ﷺ أن ينام في فراشه ﷺ ليلة الهجرة:

من الأمور التي استعملها النبي ﷺ في التَّعْميةِ على كفار قريش المتربصين به في ليلة الهجرة أنه ﷺ أمر سيدنا على بن أبي طالب ﷺ بأن ينام في فراشه، فقد أخرج الإمام الحاكم (رحمه الله) بسنده من حديثِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – قَالَ:" شَرَى عَلِيٌّ نَفْسَهُ، وَلَبِسَ ثَوْبَ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ نَامَ مَكَانَهُ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَرْمُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَلْبَسَهُ بُرْدَةً، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَ النَّبِيَّ ﷺ، فَجَعَلُوا يَرْمُونَ عَلِيًّا، وَيَرَوْنَهُ النَّبِيَّ ﷺ، وَقَدْ لَبِسَ بُرْدَةً، وَجَعَلَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَتَضَوَّرُ(٢)، فَإِذَا هُوَ عَلِيٌّ فَقَالُوا: إِنَّكَ لَلَئِيمٌ إِنَّكَ لَتَتَضَوَّرُ، وَكَانَ صَاحِبُكَ لَا يَتَضَوَّرُ وَلَقَدِ اسْتَنْكَرْنَاهُ مِنْكَ ".(٣)

قال الإمام ابن العربي (رحمه الله): " قَامَ عَلِيٌّ ﷺ عَلَى فِرَاشِ النَّبِيِّ ﷺ فِدَاءً لَهُ، وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مُؤْنِسًا لَهُ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ عَلِيًّا ﷺ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ «إِنَّهُ لَنْ يَخْلُصَ إِلَيْكَ»(٤)، وَهَذَا تَأْمِينُ يَقِينٍ، وَيَجِبُ عَلَى الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ أَنْ يَقُوا بِأَنْفُسِهِمْ النَّبِيَّ ﷺ، وَأَنْ يَهْلِكُوا أَجْمَعِينَ فِي نَجَاتِهِ، فَلَنْ يُؤْمِنَ أَحَدٌ حَتَّى يَكُونَ النَّبِيُّ ﷺ، أَحَبَّ إِلَيْهِ

(١) لسان العرب، (١٥/ ١٠٠)، والكليات، لأبي البقاء الكفوي (ص: ٣١٠).

(٢) أَيْ يَتلوَّى ويضجُّ ويتقلَّبُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ. وَقِيلَ يَتَضَوَّرُ: يُظهِر الضَّوْرَ بِمَعْنَى الضُّرّ. النهاية في غريب الحديث والأثر(٣/ ١٠٥) مادة (ضَوَرَ).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب الهجرة (٣/ ٥)ح ٤٢٦٣، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، ووافقه الذهبي.

(٤) جزء من حديث أورده ابن هشام في السيرة النبوية (١/ ٤٨٠)، والطبري في تاريخ الرسل والملوك، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت (٢/ ٣٧٢)، وابن كثير في البداية والنهاية، طبعة إحياء التراث (٣/ ٢١٥) جميعهم من طريق ابن إسحاق، بإسناد ضعيف؛ لجهالة شيخ ابن إسحاق.

مِنْ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَالْخَلْقِ أَجْمَعِينَ ".[١]

وقال الشيخ مُحَمَّد أبو شهبة (رحمه الله):" وعاد رسول الله ﷺ – بعدما أخبر أبا بكر ﷺ بالإذن له في الهجرة، وبعد أن أعدّا العدة للهجرة– إلى بيته، وكان جبريل عليه السلام أمر النَّبيَّ ﷺ أن لا يبيت على فراشه، فلما كانت عتمة الليل اجتمع فتيان من قريش على بابه، وبيدهم السيوف المرهفة، ويتطاير من عيونهم شرر الغدر والمكيدة، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم قال لعلي بن أبي طالب ﷺ: «نَمْ عَلَى فِرَاشِي، وتَسَجَّ[٢] بِبُرْدِي هَذَا الحَضْرمي الْأَخْضَرِ، فَنَمْ فِيهِ، فَإِنَّهُ لَنْ يَخْلُص إِلَيْكَ شَيْءٌ تَكْرَهُهُ»[٣]، وكان رسول الله ﷺ ينام في برده هذا إذا نام، فسمع عليّ لما أشار به رسول الله وأطاع طيّبة بذلك نفسه، وبذلك كان أول فدائي شاب في الإسلام، فقد وقى رسول الله بنفسه، وهو يعلم أنه على قيد أذرع من سيوف المشركين ورماحهم، وكان هذا التدبير المحكم الذي أشار به جبريل عليه السلام مما لبّس الأمر على المشركين المتربصين للنبي ﷺ، فكانوا إذا نظروا من خلل الباب وجدوا النائم فيظنونه النَّبي ﷺ، بينما هو الفتى الشجاع علي ﷺ ".[٤]

ب – استخدام سيدنا أبو بكر ﷺ للتورية في الإجابة على السائل:

والتورية معناها في الاصطلاح: هي أن يذكر المتكلم لفظا مفرداً له حقيقتان، أو حقيقة ومجاز أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية، ويريد المتكلم المعنى البعيد، ويوري عنه بالقريب فيوهم السامع أول وهلة أنه يريد المعنى القريب وليس كذلك؛ ولهذا سمي هذا النوع إيهاما.[٥]

(١) أحكام القرآن، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان (٢/ ٣٩٦).

(٢) تَسجَّى: أي تَغَطَّى به. المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، لأبي موسى المديني (٢/ ٦٤) مادة (سَجَا).

(٣) سبق تخريجه في الصفحة السابقة في حاشية كلام الإمام ابن العربي (رحمه الله).

(٤) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، للشيخ مُحَمَّد أبو شهبة، الناشر: دار القلم – دمشق (١/ ٤٧٥).

(٥) الكليات (ص: ٢٧٧).

وقد استعمل الصديق أبو بكر ﷺ التورية أثناء الهجرة في إجابته على السائل الذي سأله عن رسول الله ﷺ، فقد ثَبَتَ منْ حديثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ:" أَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِلَى المدِينَةِ وَهُوَ مُرْدِفٌ[1] أَبَا بَكْرٍ، وَأَبُو بَكْرٍ شَيْخٌ يُعْرَفُ، وَنَبِيُّ اللَّهِ ﷺ شَابٌّ لاَ يُعْرَفُ، قَالَ: فَيَلْقَى الرَّجُلُ أَبَا بَكْرٍ فَيَقُولُ يَا أَبَا بَكْرٍ مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ؟ فَيَقُولُ: هَذَا الرَّجُلُ يَهْدِينِي السَّبِيلَ، قَالَ: فَيَحْسِبُ الحَاسِبُ أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْنِي الطَّرِيقَ، وَإِنَّمَا يَعْنِي سَبِيلَ الخَيْرِ .... ". الحديث[2]

ج – عدم السير في الطريق المعهود:

حيث إن النَّبيَّ ﷺ اتخذ طريقاً غير الطريق المعتاد، الذي تمضي منه القوافل، وعُرِفَ الطريق الذي اتخذه النَّبيُّ ﷺ بطرق الساحل، وذلك إمعاناً في التمويه والتعمية على كفار قريش الراصدين له، والمتتبعين لسيره ﷺ، ومن أجل هذا احتاج إلى الدليل الخبير بدروب الطرق، وفجاج الصحراء، ففي حديث أم المؤمنين السيدة عَائِشَةَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا – السابق، قَالَتْ: «وَاسْتَأْجَرَ النَّبِيُّ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدِّيلِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ هَادِيًا خِرِّيتًا – الخِرِّيتُ: الماهِرُ بِالهِدَايَةِ –، فَأَخَذَ بِهِمْ أَسْفَلَ مَكَّةَ وَهُوَ طَرِيقُ

(١) **قال الإمام بدر الدين الدماميني (رحمه الله)**:" قوله (وهو مردف أبا بكر): قال الداودي: يحتمل أنهما كانا على بعير واحد، ويحتمل أنهما على بعيرين، لكن أحدهما يتلو الآخر. قال السفافسي: والتأويل هو الأول، ولا يصح الثاني؛ لأن المردَف على قول الداودي يكون خلف المردِف، ولا يصح أن يكون أبو بكر ﷺ يمشي بين يدي النبي ﷺ، وذلك أنه قال في الحديث:" فيلتقي الرجلُ أبا بكر، فيقولُ له: من هذا؟، قلت (القائل هو الإمام بدر الدين الدماميني): لم يتضح لي ما قال السفاقسي في رد الاحتمال الثاني بوجه، وذلك لأن النبي ﷺ هو المردِفُ لأبي بكر؛ كما في الحديث؛ أي: جاعلُه رِدْفًا له، فأبو بكر خلفَه قطعًا، وكونُ الرجل يلقى أبا بكر، فيسأله: من هذا؟ لا يقتضي تقدمَ أبي بكر؛ إذ يجوز سؤاله عنه وهو تابع له ورديف؛ من حيث إن أبا بكر كان معروفًا للسائل دون النبي ﷺ، فإذا لقيه –عليه الصلاة والسلام– رجلٌ لم يعرفه، ورأى أبا بكر بعدَه، وهو يعرفه، سأله عنه، هذا لا مانع منه أصلًا ". مصابيح الجامع (٧/ ٣٨٠).

(٢) أخرجه البخاري في: كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة (٥/ ٦٢)ح ٣٩١١.

السَّاحِلِ».[١]

(خريطة توضيحية للطريق الذي سلكه النبي ﷺ في الهجرة النبوية الشريفة)

قال الإمام مُحَمَّد بن إسحاق (رحمه الله) واصفاً طريق النبي ﷺ في هجرته:" فلما خرج بهما دليلهما عبد الله ابن أرقط، سلك بهما أسفل مكة، ثم مضى بهما على الساحل ...".[٢]

مما سبق ذكره نعلم أن تخطيط النبي ﷺ للهجرة النبوية كان على أعلى درجة من الكفاءة والإتقان والإحكام المؤيد والمسدد بالوحي من الله تعالى، حيث إنَّ عناية الله تعالى لم تفارق نبيَّهُ ﷺ لحظة في هجرته المباركة، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا.

(١) سبق تخريجه في أول هذا المطلب، تحت عنصر (تجهيز الوسائل والأدوات التي سيحتاجها النبي ﷺ في هجرته).

(٢) ينظر: سيرة ابن هشام (١/ ٤٩١)، فقد وصف الإمام ابن إسحاق (رحمه الله) الطريق الذي سار في النبي ﷺ وصاحبة الصديق ﷺ في الهجرة النبوية المباركة وصفاً دقيقاً.

المطلب الثالث

(العامل الثالث: التزامُ السِّرّية التَّامّة)

إنَّ المتتبعَ لمراحل الهجرة النبوية يلاحظ أنَّ النَّبيَّ ﷺ أحاطها بسرّيةٍ تامَّة، حَرِصَ فيها على أن لا يَعْلَمَ أحدٌ بموعد الهجرة ولا طريقها، ولا وجهتها، وأخفى كل ذلك حتى عن أقرب المقربين له سيدنا أبي بكر الصديق ﷺ الرجل الذي وقف معه وآمن به وآزره، وأحبه حبا عظيماً، وكان هذا الصحابي الجليل أول من آمن من الرجال برسول الله ﷺ وبدعوته، ومع ذلك أخفى النَّبيُّ ﷺ خطة الهجرة وخطواتها عنه وعن الجميع، وهو بهذا يُعَلِّمُ الأمةَ كيف يتصرف القائد عندما يتصدى لحدث هام، أو ينتقل إلى مرحلة أخرى.(١)

ولقد حَرِصَ النَّبيُّ ﷺ منذ الوهلة الأولى – عندما تأكد لديه أنه مهاجر — على سرية هذا الأمر وعدم إفشائه حتى يكتب الله تعالى لهذه الهجرة المباركة النجاح والتوفيق، والسيرة النبوية وَضَّحَتْ لنا بجلاءٍ أن كتمان الأسرار من أعظم أسرار النصر، وإنجاز الأعمال، فمما ساعد رسول الله ﷺ على النَّصر على أعدائه في كثير من غزواته وسراياه أن كثيراً من أسراره كانت محفوظة ومصونة عن أعين الأعداء، حيثُ كانت غزواته وسراياه وخططهما تَتِمُّ في سرّيةٍ تامَّة، فقد ثَبَتَ عند الإمامِ البخاريّ (رحمه الله) في صحيحه من حديث كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَلَّمَا يُرِيدُ غَزْوَةً يَغْزُوهَا إِلَّا وَرَّى(٢) بِغَيْرِهَا ...».الحديث(٣)

---

(١) مقال للدكتور/ مُحَمَّد عبده يماني بعنوان " الهجرة النبوية.. سِرّية واستراتيجية "، منشور بتاريخ ٢٠١٣/١/١م على الشبكة العنكبوتية (الانترنت) موقع الدكتور/ مُحَمَّد عبده يماني http://dryamani.com/ar/News.

(٢) أَيْ سَتَرَه وَكَنَى عَنْهُ، وأَوْهَم أَنَّهُ يُرِيد غَيْرَه. النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١٧٧) مادة (وَرَا).

(٣) أخرجه البخاري في: كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ مَنْ أَرَادَ غَزْوَةً فَوَرَّى بِغَيْرِهَا، وَمَنْ أَحَبَّ الخُرُوجَ يَوْمَ الخَمِيسِ (٤/ ٤٨)ح ٢٩٤٨.

والوقائع العملية تُظْهِرُ لنا هذا الأمر بجلاء، فلقد كان من أهم أسباب نجاح الدعوة الإسلامية، والحفاظ عليها في بدايتها، هو أن النَّبيَّ ﷺ بَدَأَهَا سِراً، فلو أن النَّبيَّ ﷺ جَهَرَ بالدعوة بمجرد نزول الوحي عليه لقضت قريشُ عليها قبل وصولها للناس، لكن استمرت الدعوة في السِّر ثلاث سنوات حتى تقوى شوكة المسلمين، ومن أبرز المواقف التي تُبيّنُ حِرْصَ النَّبيّ ﷺ على سرّية الدعوة في بدايتها، ما ذكره الإمام ابن كثير عن ابن إسحاق (رحمهما الله) في قصة إسلام سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ، حيثُ قال:" قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ إِنَّ عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ بِيَوْمٍ وَهُمَا يُصَلِّيَانِ. فَقَالَ عَلِيٌّ يَا مُحَمَّدُ مَا هَذَا؟ قَالَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي اصْطَفَى لِنَفْسِهِ، وَبَعَثَ بِهِ رُسُلَهُ، فَأَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَإِلَى عِبَادَتِهِ، وَأَنْ تَكْفُرَ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى.

فَقَالَ عَلِيٌّ: هَذَا أَمْرٌ لَمْ أَسْمَعْ بِهِ قَبْلَ الْيَوْمِ، فَلَسْتُ بِقَاضٍ أَمْرًا حَتَّى أُحَدِّثَ بِهِ أَبَا طَالِبٍ. فَكَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُفْشِيَ عَلَيْهِ سَرَّهُ قَبْلَ أَنْ يَسْتَعْلِنَ امره، فقال له: يا على إذ لَمْ تُسْلِمْ فَاكْتُمْ. فَمَكَثَ عَلِيٌّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ أَوْقَعَ فِي قَلْبِ عَلِيّ الْإِسْلَامَ، فَأَصْبَحَ غَادِيًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى جَاءَهُ فَقَالَ مَاذَا عَرَضْتَ عَلَيَّ يَا مُحَمَّدُ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شريك لَهُ وَتَكْفُرُ بِاللَّاتَ وَالْعُزَّى، وَتَبْرَأُ مِنَ الْأَنْدَادِ» فَفَعَلَ عَلِيٌّ وَأَسْلَمَ، وَمَكَثَ يَأْتِيهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ أَبِي طَالِبٍ وَكَتَمَ عَلِيٌّ إِسْلَامَهُ وَلَمْ يُظْهِرْهُ ".(١)

ومن أظهر الأمثلة على ذلك أيضاً (فتح مكة)، فقد حَرِصَ النَّبيُّ ﷺ على إخفاء خروجه لمكة، ولم يخبر أحداً عن وجهته، وكل ذلك منه أخذاً للحيطة والحذر، وخوفاً من بلوغ الخبر قريشاً، ولم يخبر النَّبيُّ ﷺ صحابته ﷺ بوجهته إلا بعد تيقنه من عدم بلوغ

(١) البداية والنهاية ط الفكر (٣/ ٢٤).

الخبر لقريش، ولما حدث ما حدث من حاطب بن أبي بلتعة ﷺ[(١)]، حين بعث امرأته بكتاب لقريش يخبرهم فيه بمسير رسول الله ﷺ إليهم بعث النَّبيُّ ﷺ في إثرها سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ، وسيدنا الزبير بن العوام ﷺ، وسيدنا المقداد بن الأسود ﷺ ليأتوا بالكتاب إمعاناً منه ﷺ في السِّرّية والكِتْمَان، فلم يبلغ الخبر قريشاً إلا عند اقتراب جيش المسلمين منها، فكان الفتح المبين الذي وعد الله ﷻ به رسوله ﷺ، فقد أخرج الإمامان البخاري ومسلم (رحمهما الله) في صحيحيهما بسنديهما من حديث عَلِيٍّ ﷺ، قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرَ، وَالمِقْدَادَ ابْنَ الأَسْوَدِ، قَالَ: «انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ[(٢)]، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً[(٣)]، وَمَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا»، فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الرَّوْضَةِ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، فَقُلْنَا أَخْرِجِي الكِتَابَ، فَقَالَتْ: مَا مَعِي مِنْ كِتَابٍ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا[(٤)]، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أُنَاسٍ مِنَ المُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ... ". الحديث[(٥)]

---

(١) هو الصحابي الجليل حاطب بن أبي بَلْتَعة عمرو بن عمير بن سلمة اللَّخْمِيّ. قديم الإسلام. شهد بدراً والحديبية، وكان رسول رسول الله ﷺ إلى المقوقس ملك مصر. روى عنه: سيدنا علي ﷺ كلامه في اعتذاره لرسول الله ﷺ عن مكاتبة قريش، وأنه لم يفعل ذلك كُفْرًا وَارْتِدَادًا، وَلا رِضَاءً بِالْكُفْرِ، وإنما فعله لأنه لم يكن له في مكة عشيرة تدفع عن أهله، فقبل النبي ﷺ عذره، وفيه نزل قول الله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ} [سورة الممتحنة: الآية١]، وقد شهد الله تعالى له بالإيمان، وفي القصة أن سيدنا عمر ﷺ أراد قتله، فقال له رسول الله ﷺ: إنه شهد بدراً. مات سنة ثلاثين بالمدينة. الاستيعاب (١/ ٣١٢)، وأسد الغابة (١/ ٦٥٩)، والإصابة (٢/ ٤).

(٢) مَوْضِعٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٨٦) مادة (خَوَخَ).

(٣) أصلُ الظَّعِينَة: الرَّاحلَةُ الَّتِي يُرحَل ويُظْعَنُ عَلَيْهَا: أَيْ يُسار، وَقِيلَ لِلْمَرْأَةِ ظَعِينَة، لِأَنَّهَا تَظْعَنُ مَعَ الزَّوج حَيثُما ظَعَنَ، أَوْ لأنَّها تُحْمَل عَلَى الرَّاحِلَة إِذَا ظَعَنَتْ. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ١٥٧) مادة (ظَعَنَ).

(٤) أَيْ ضَفَائِرِهَا، جَمْع عَقِيصَة أَوْ عِقْصَة، وأصلُ العَقْص: اللَّيُّ. وإدْخال أطْرَاف الشَّعر فِي أُصُوله. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٢٧٦) مادة (عَقَصَ).

(٥) أخرجه البخاري في: كتاب الجهاد والسير، بَابُ الجَاسُوس (٤/ ٦٠)ح ٣٠٠٧ واللفظ له، ومسلم في: كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل أهل بدر ﷺ، وقصة حاطب بن أبي بلتعة ﷺ (٤/ ١٩٤١)ح ٢٤٩٤.

ومثال مراعاة النبي ﷺ للسِرّية أيضاً خاصة في الأعمال المهمة، أن النبي ﷺ بعث بِسَرِيَّةٍ[١] من المهاجرين – رضوان الله عليهم – بقيادة الصحابي الجليل عبد الله بن جحش ﷺ الْأَسَدِيّ، وأعطاه رسالة سِرِّيَّة تحتوي على تفاصيل المهمة التي أرسله النَّبِيُّ ﷺ فيها، وأمرها ألا يفتحها إلا بعد مسيرة يومين، كما ثَبَتَ منْ حديثِ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، «عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ بَعَثَ رَهْطًا، وَبَعَثَ عَلَيْهِمْ أَبَا عُبَيْدَةَ ﷺ فَلَمَّا ذَهَبَ لِيَنْطَلِقَ بَكَى صَبَابَةً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَلَسَ، فَبَعَثَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ ﷺ مَكَانَهُ، وَكَتَبَ لَهُ كِتَابًا وَأَمَرَهُ أَنْ لَا يَقْرَأَ الْكِتَابَ حَتَّى يَبْلُغَ مَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَقَالَ: " لَا تُكْرِهَنَّ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِكَ عَلَى الْمَسِيرِ مَعَكَ "، فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ اسْتَرْجَعَ، وَقَالَ: سَمْعٌ وَطَاعَةٌ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ...".الحديث[٢]

ولا يخفى على كل متأمل وناظر أن الإنسان بالكتمان يستطيع أن ينجز كثيراً من الأعمال، بعكس ما إذا كان يُفْشِي أسراره؛ لأن الإنسان يحيا في مجتمع فيه المحب له، وفيه الكاره، فإذا فتح الإنسان الباب للكارهين – بإفشاء أسراره – آذوه بشرهم، وحالوا بينه وبين مراده، وكلما كان الإنسان محافظاً على أسراره استطاع أن يحقق أهدافه، وينجز أعماله، ولهذا اتخذت الهجرة النبوية طابع السِرّية حتي يكتب الله تعالى لها النجاح، ويكتب لنبيه ﷺ النجاة.

وتتجلى ميزة السِرّية في العمل التشاركي [الجماعي] – خصوصا في واقعنا المعاصر– إذا كان الأصل فيه علانية كل شيء وغياب الوعي الأمني عرّض نفسه للخطر

(١) السَّرِيَّة: وهي طائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة تبعث إلى العدو، وجمعها السرايا، سموا بذلك لأنهم يكونون خلاصة الجنود وخيارهم، من الشيء السري النفيس،وقيل سموا بذلك لأنهم ينفذون سرا وخفية. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٣٦٣) مادة (سَرَى).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٢/ ١٦٢)ح ١٦٧٠، وقال الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٩٨):" رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ ".

وحال بين نفسه وبين بلوغ أهدافه، وليكن شعار العاملين هذه الآية الكريمة: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ ﴾[1]. [2]، هذا وقد تجلت السِّرية في الهجرة النبوية في مواطن عدة منها ما يلي:

أ- بيعة العقبة الثانية:

المتأمل في أحداث بيعة العقبة الثانية - والتي كانت بمثابة التجهيز الأخير لانطلاق النَّبيّ ﷺ إلى المدينة في هجرته المباركة - يرى أنه قد جرى بين النَّبيّ ﷺ والأنصار ﷺ اتصالات سِرِّيَّة قبل هذه البيعة المباركة أدت هذه الاتصالات إلى اتفاق الأنصار ﷺ مع النبي ﷺ على الاجتماع في أوسط أيام التشريق عند العقبة على أن يكون ذلك اللقاء في سرّية تامة؛ حتى لا تعلم قريش بأمر هذه البيعة.

يروي لنا الإمام أحمد (رحمه الله) ما حدث في هذه البيعة المباركة بسنده من حديث كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، وَكَانَ كَعْبٌ مِمَّنْ شَهِدَ الْعَقَبَةَ، وَبَايَعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِهَا، قَالَ:" خَرَجْنَا فِي حُجَّاجِ قَوْمِنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ...، **وفيه**: قَالَ: وَخَرَجْنَا إِلَى الْحَجِّ، فَوَاعَدْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ الْعَقَبَةَ مِنْ أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، فَلَمَّا فَرَغْنَا مِنَ الْحَجِّ، وَكَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي وَعَدْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَمَعَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ أَبُو جَابِرٍ سَيِّدٌ مِنْ سَادَتِنَا، وَكُنَّا نَكْتُمُ مَنْ مَعَنَا مِنْ قَوْمِنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمْرَنَا فَكَلَّمْنَاهُ، وَقُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا جَابِرٍ، إِنَّكَ سَيِّدٌ مِنْ سَادَتِنَا، وَشَرِيفٌ مِنْ أَشْرَافِنَا، وَإِنَّا نَرْغَبُ بِكَ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ أَنْ تَكُونَ حَطَبًا لِلنَّارِ غَدًا، ثُمَّ دَعَوْتُهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبَرْتُهُ بِمِيعَادِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَسْلَمَ وَشَهِدَ مَعَنَا الْعَقَبَةَ، وَكَانَ نَقِيبًا، قَالَ: فَنِمْنَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَعَ قَوْمِنَا فِي رِحَالِنَا حَتَّى إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ

(١) {سورة النمل: من الآية ٨٨}.

(٢) مقال بعنوان "فريق العمل في الإسلام «قوة وبركة» ولكن السرية!"، كتابة ا/ أحمد حمدي، منشور على الشبكة العنكبوتية (الانترنت) بتاريخ ١٢ أكتوبر ٢٠٠٧م، جريدة مصراوي – مصر.

خَرَجْنَا مِنْ رِحَالِنَا لِمِيعَادِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، نَتَسَلَّلُ مُسْتَخْفِينَ تَسَلُّلَ الْقَطَا حَتَّى اجْتَمَعْنَا فِي الشِّعْبِ عِنْدَ الْعَقَبَةِ، وَنَحْنُ سَبْعُونَ رَجُلًا، وَمَعَنَا امْرَأَتَانِ مِنْ نِسَائِهِمْ نَسِيبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ أُمُّ عُمَارَةَ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي مَازِنِ بْنِ النَّجَّارِ، وَأَسْمَاءُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي سَلِمَةَ، وَهِيَ أُمُّ مَنِيعٍ، قَالَ: فَاجْتَمَعْنَا بِالشِّعْبِ نَنْتَظِرُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، حَتَّى جَاءَنَا وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، إِلَّا أَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَحْضُرَ أَمْرَ ابْنِ أَخِيهِ، وَيَتَوَثَّقُ لَهُ ..." الحديث.(١)

ب- ذهابُ النَّبيّ ﷺ لبيت الصديق ﷺ في الظهيرة مُلَثَّماً، وَأَمْرُهُ ﷺ للصدّيق ﷺ أنْ يُخْرِج من عنده:

فقد جاء النَّبيُّ ﷺ إلى بيت سيدنا أبي بكر ﷺ في وقتٍ شديد الحر، حتى لا يراه أحد؛ ليخبره بأن الله تعالى قد أذن له بالهجرة، ولم يكن النَّبي ﷺ من عادته الخروج في هذا الوقت، وأخفى النَّبيُّ ﷺ وجهه الشريف، وأَمَرَ الصديق ﷺ بأن يُخْرج من كان عنده، وكل ذلك منه ﷺ إمعاناً في السرّيّة والكتمان لأمر الهجرة.

فقد أخرج الإمام البخـاريُ (رحمه الله) من حديثِ أُمِ المؤْمنينَ السيدةِ عَائِشَةَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْـــهَا – قَالَتْ: " هَاجَرَ نَاسٌ إِلَى الحَبَشَةِ مِنَ المسْلِمِينَ ...، **وفيه**: قَالَتْ عَائِشَةُ: فَبَيْنَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِنَا فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، فَقَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُقْبِلًا مُتَقَنِّعًا، فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدًا لَكَ أَبِي وَأُمِّي، وَاللَّهِ إِنْ جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا لِأَمْرٍ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَاسْتَأْذَنَ فَأَذِنَ لَهُ فَدَخَلَ، فَقَالَ حِينَ دَخَلَ لِأَبِي بَكْرٍ: «أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ» قَالَ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

(١) أخرجه أحمد (٢٥/ ٨٩)ح ١٥٧٩٨ واللفظ له، والطبراني في الكبير (١٩/ ٨٧)ح ١٧٩ بنحوه، وقال الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٤٥):" رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالطَّبَرَانِيُّ بِنَحْوِهِ، وَرِجَالُ أَحْمَدَ رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرَ ابْنِ إِسْحَاقَ وَقَدْ صَرَّحَ بِالسَّمَاعِ". قلتُ: حديث حسن؛ فيه (مُحَمَّد بن إسحاق بن يسار) صدوق يدلس تقريب التهذيب (ص: ٤٦٧)، وقد صرَّحَ بالسماع فأُمِن تدليسه.

قَالَ: «فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الخُرُوجِ» قَالَ: فَالصُّحْبَةُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ» ..." الحديث.(١)

قال الإمام مُحَمَّد بن إسحاق (رحمه الله):" وَلَمْ يَعْلَمْ فِيمَا بَلَغَنِي، بِخُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَدٌ، حَيْنَ خَرَجَ، إلَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ، وَآلُ أَبِي بَكْرٍ ﷺ ".(٢)

د- خروج النَّبيّ ﷺ في الليل، ومن خوخة في ظهر بيت سيدنا أبي بكر ﷺ:

كان من حرص النَّبيّ ﷺ على كتمان أمر هجرته، والحفاظ على سِرِّيَّتِها ، أنَّهُ ﷺ خرج ليلاً؛ حتى لا يراه أحد فينكشف الأمر، وتعلم قريش بخروجه ﷺ.

قَالَ الإمام مُحَمَّد ابْن إسْحَاقَ (رحمه الله):" فَلَمَّا كَانَتْ عَتَمَةٌ مِنْ اللَّيْلِ اجْتَمَعُوا [أي المشركون] عَلَى بَابِهِ يَرْصُدُونَهُ مَتَى يَنَامُ، فَيَثِبُونَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَانَهُمْ، قَالَ لِعَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ: «نَمْ عَلَى فِرَاشِي، وتَسَجَّ(٣) بِبُرْدِي هَذَا الحَضْرمي الْأَخْضَرِ، فَنَمْ فِيهِ، فَإِنَّهُ لَنْ يَخْلُص إلَيْكَ شَيْءٌ تَكْرَهُهُ»(٤)، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنَامُ فِي بُرْدِهِ ذَلِكَ إذَا نَامَ ".(٥)

كما أن خروج النَّبي ﷺ والصديق ﷺ للهجرة لم يكن من الباب المعتاد في بيت أبي بكر ﷺ، وإنما خرجا من خوخة(٦) في ظهر بيت أبي بكر الصديق ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري في: كِتَابُ اللِّبَاسِ، بَابُ التَّقَنُّعِ (٧/ ١٤٥)ح ٥٨٠٧.

(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٥).

(٣) تَسجَّى: أي تَغَطَّى به. المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، لأبي موسى المديني (٢/ ٦٤) مادة (سَجَا).

(٤) أورده ابن هشام في السيرة النبوية (١/ ٤٨٠)، والطبري في تاريخ الرسل والملوك، (٢/ ٣٧٢)، وابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ٢١٥) جميعهم من طريق اين إسحاق بإسناد ضعيف؛ لجهالة شيخ ابن إسحاق.

(٥) سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٢).

(٦) الخَوْخَةُ: بابٌ صغيرٌ كالنَّافِذَة الكَبِيرَة، وتكُون بَيْن بَيْتَيْن يُنْصَبُ عَلَيْهَا بابٌ. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٨٦)، ولسان العرب (٣/ ١٤) مادة (خَوَخَ) .

قَالَ الإمام مُحَمَّد ابْن إِسْحَاقَ (رحمه الله):" فَلَمَّا أَجْمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْخُرُوجَ، أَتَى أَبَا بَكْرِ ابْن أَبِي قُحَافَةَ ﷺ، فَخَرَجَا مِنْ خَوْخَةٍ لِأَبِي بَكْرٍ ﷺ فِي ظَهْرِ بَيْتِهِ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى غَارٍ بِثَوْرٍ، جَبَلٍ بِأَسْفَلِ مَكَّةَ .... ".(١)

وكان سبب خروج النبي ﷺ وصاحبه ﷺ من هذه الخوخة؛" للإمعان فى الاستخفاء حتى لا تتبعهما قريش، وتمنعهما من تلك الرحلة المباركة، وقد اتعدا مع الدليل على أن يلقاهما فى غار ثور بعد ثلاث ليال ".(٢)

من خلال ما سبق نرى أن الالتزام بالسِّرِّية والكتمان لأمر الهجرة كان من العوامل الأساسية والمهمة التي أدت إلى نجاح الهجرة النبوية المباركة، مما يدعونا إلى أن نضع ذلك في الحُسبان عند شروعنا في أي عمل تشاركي، فلا نُفْشِي أسراره، حتى لا يعلم بها المتربصون بنا من أعدائنا، فيسعون في إفشاله، فكلما كان الإنسان محافظاً على أسراره استطاع أن يحقق أهدافه، وينجز أعماله.

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٥).

(٢) ما بين المعكوفتين من كتاب (خاتم النبيين ﷺ) (١/ ٤٥٧).

المطلب الرابع

(العامل الرابع: إعلاءُ روْحِ التَّعاون بينَ المُشَاركِين في الهِجْرة)

النَّاظِرُ في سيرةِ النَّبيِّ ﷺ، وسنَّتِهِ المباركة يرى أنَّ النَّبيَّ ﷺ قد أعلى من شأن التعاون بين المؤمنين على البر والتقوى، وذلك في أكثر من حديث وموقف، منها ما أخرجه الشيخان من حديث أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" «إِنَّ المُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ".(١)

قال الإمام ابن بطال (رحمه الله) عن هذا الحديث:" تعاون المؤمنين بعضهم بعضًا فى أمور الدنيا والآخرة مندوب إليه بهذا الحديث ".(٢)

فمن أعظم الدلالات الحضارية للهجرة النبوية (العمل التشاركي التعاوني) البعيد عن الفردية والذّاتية، فالهجرة حدث لم يقم به النَّبي ﷺ وحده، بل كان عملاً جماعياً تعاون وتشارك فيه سبعة وهم: (النَّبيُّ ﷺ) قائداً وموجهاً، و(سيدنا أبو بكر ﷺ) صاحبا، و(سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ) لينام في فراشه ﷺ ويردَّ الأمانات، و(السيدة أسماء بنت أبي بكر رضي لله عنها) لتجهيز الزَّاد، و(سيدنا عبد الله بن أبي بكر ﷺ) ليأتيهما في الليل بأخبار قريش، و(سيدنا عامر بن فهيرة ﷺ) يرعى غنم سيدنا أبي بكر ﷺ نهارا ويريحها على النَّبيِّ ﷺ وصاحبه ليلاً ليأخذا منها ما يحتاجانه من لبن ولحم مدة إقامتهما في الغار، ويزيل بها آثار الأقدام، و(عبد الله بن أريقط) دليلهما في الطريق كما هو موضح في حديث أم المومنين السيدة عائشة – ﷺ – السابق ذكره، والذي أخرجه الإمام البخاري (رحمه الله) في صحيحه.(٣)

---

(١) سبق تخريجه في المبحث الأول، المطلب الثاني، (أهميةُ العملِ التَّشَارُكي، وفائدته من خلال السِّيرة النبوية)، حديث صحيح.

(٢) شرح صحيح البخارى لابن بطال (٩/ ٢٢٧)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم ـ طبعة: مكتبة الرشد ـ السعودية، الرياض ـ الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

(٣) سبق تخريجه في المبحث الأول، المطلب الرابع، (نماذج من العملِ التَّشَارُكي من السِّيرةِ النَّبوية)، حديث صحيح.

فمعَ عِظَمِ أمْرِ الهجرة وخطورته، نجد أن النَّبيَّ ﷺ يتشارك ويتعاون مع الفريق لصناعة هذا الحدث المبارك، ليبين لنا منزلة العمل التشاركي الجماعي في إقامة الحضارات، حيثُ إن التعاون والتشارك والتكامل بين أفراد الأمة هو السبيل إلى بناء المجتمعات، وصناعة الحضارات، والفضل في ذلك يرجع إلى مجموعهم واجتماعهم، حيثُ تقوم أطياف المجتمع جميعها بدورها ومسؤولياتها، فالشخص بمفرده لا يبني حضارة بل يحتاج إلى من يعاونه ويسانده ويكمل عمله، كما أن العمل التشاركي يهدف إلى تحقيق المصالح والمكاسب للمجتمع بأكمله، بخلاف العمل الفردي الذي تكون نتائجه محدودة، ومكاسبه مقصورة على أفراد معينين، ومن هنا برزت أهمية التعاون والتشارك.

ولقد ضرب الصحابة – رضوان الله عليهم – أروع الأمثلة في التعاون مع نبيهم ﷺ، ومع بعضهم البعض في الهجرة النبوية المباركة، فنجاح الهجرة النبوية قام على تعاون عدد من الرجال والنساء، كان لكل منهم دوره المرسوم الذي أداه بدقة وإخلاص واتقان.

فها هو (سيدنا أبو بكر ﷺ) يجهّز الراحلة دون أن يأمره النبي بذلك، وهذا إنما يدل على استشعاره ﷺ بدوره ومهمته، ولم يقتصر دور الصدّيق ﷺ عند ذلك، بل كان الصدّيق ﷺ موقناً أن بقاء الدعوة الإسلامية مرهون ببقاء النَّبيّ ﷺ حياً، ولذلك كان ﷺ يُعَرّض نفسه للمخاطر؛ فداءً لرسول الله ﷺ، وكان يخاف عليه من أي شيء يؤذيه، حتى ولو كان حر الشمس، وحشرات الأرض، فقد أخرج الإمام البخاري (رحمه الله) بسنده من حديث عُرْوَة بْن الزُّبَيْرِ،« أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَقِيَ الزُّبَيْرَ ﷺ فِي رَكْبٍ مِنَ المسْلِمِينَ، كَانُوا تِجَارًا قَافِلِينَ مِنَ الشَّأْمِ، فَكَسَا الزُّبَيْرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ ﷺ ثِيَابَ بَيَاضٍ، وَسَمِعَ المسْلِمُونَ بِالْمَدِينَةِ مَخْرَجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ، فَكَانُوا يَغْدُونَ كُلَّ غَدَاةٍ إِلَى الحَرَّةِ، فَيَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ حَرُّ الظَّهِيرَةِ ...، **وفيه**: حَتَّى أَصَابَتِ الشَّمْسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى ظَلَّلَ عَلَيْهِ بِرِدَائِهِ ...» الحديث[(١)]، وفي رواية قال أبو بكر ﷺ: «وَسَوَّيْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَكَانًا بِيَدِي يَنَامُ عَلَيْهِ، وَبَسَطْتُ فِيهِ فَرْوَةً، وَقُلْتُ: نَمْ يَا

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري في: كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة (٥/ ٦١)ح ٣٩٠٦.

رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا أَنْفُضُ لَكَ مَا حَوْلَكَ، فَنَامَ وَخَرَجْتُ أَنْفُضُ مَا حَوْلَهُ»[1]

وها هو (سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ) ينام مكان النَّبيّ ﷺ في فراشه مع خطورة هذا الأمر؛ استشعاراً منه ﷺ أنه لو أصاب النَّبيُّ ﷺ مكروه لكان ذلك نهاية الدعوة، فآثر بنفسه نَفْسَ رسول الله ﷺ.

وها هي (السيدة أسماء بنت الصديق، وأختها السيدة عائشة رضي الله عنهما) يجهزان الزاد الخاص بهذه الرحلة، استشعاراً منهما بدورهما الذي لا يقل عن دور أي فرد من الأفراد المشاركين في هذا الحدث المبارك.

وها هو (سيدنا عبد الله بن أبي بكر ﷺ) يأتيهما في الليل بأخبار قريش في سرية تامة دون أن يشعر به أحد، لعلمه أن النَّبيَّ ﷺ لا بد يكون على بيّنةٍ مما يُحاك به من مؤامرات من كفار قريش، فيستطيع اتقاءها.

وها هو (سيدنا عامر بن فهيرة ﷺ) يرعى غنم سيدنا أبي بكر ﷺ نهاراً، ويريحها على النَّبيّ ﷺ وصاحبه ليلاً؛ ليأخذا منها ما يحتاجانه من لبن ولحم مدة إقامتهما في الغار، ويزيل بها آثار الأقدام، وقد قام ﷺ بأداء هذه المهمة بدقة واتقان؛ استشعاراً منه بأنه لا مجال للخطأ في ظل هذا الظرف العصيب.

وها هو (عبد الله بن أريقط) مع كونه مشركاً إلا أنه كان مثالاً للأمانة والتعاون مع المشاركين في أمر الهجرة النبوية، ولم يتوان في المساهمة في إنجاح الهجرة النبوية المباركة رغم عدم إيمانه.

وكل ذلك قد قام به هؤلاء الصحابة الكرام ﷺ في جو من التعاون والتشارك، ونسيان الذات، وعدم انشغالهم بأي شيء سوى تحقيق الهدف المنشود، وهو إنجاح الهجرة المباركة، وقد كَلَّلَ اللهُ تعالى جهدهم، وأحسن عملهم، وكتب لرسوله ﷺ النجاة والنجاح، وتمَّت الهجرة النبوية المباركة بنجاح يُضْرَبُ به المثل لكل الأجيال المتعاقبة إلى يوم الدين.

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري في: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٤/ ٢٠١)ح ٣٦١٥، ومسلم في: كتاب الزهد والرقائق، باب في حديث الهجرة ويقال له حديث الرحل بالحاء (٤/ ٢٣٠٩)ح ٢٠٠٩.

خاتمة البحث

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، المحمود أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، حمداً يليق بجلاله وعظيم سلطانه على ما أعان وَوَفَّقَ ويَسَّرَ من إتمامِ هذا البحث، ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾[1]، والصلاة والسلام على أكرم الخلق أجمعين، سيدنا مُحَمَّد النبي الهادي الأمين، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

وبعـــد،

ففي ختام هذا البحث، وبعد العيش مع سيرة نبينا الكريم سيدنا مُحَمَّد ﷺ، ننهل من معينها الطَّاهِر، ونقْطِفُ من أزهارها اليافعة، ونجني من ثمارها اليانعة، والوقوف على أحداثها الخالدة، ومواقفها النيّرة، ومن خلال عملي في هذا البحث، والذي بعنوان **(العَمَلُ التّشارُكِيُّ، وعَوَامِلُ نَجَاحِه، فِي ضَوْءِ السِّيرةِ النَّبَوِيَّة، " الهِجْرةُ النَّبويَّةُ نَمُوذَجاً ")** يمكن استخلاص أهم النتائج التي توصلت إليها، وهي:

١) سَبْق السيرة النبوية إلى بيان مكانة وأهمية العمل التَّشَارُكِي، حيثُ شَارَكَ النَّبيُّ ﷺ عَمَلياً فِي كثيرٍ من هذه الأعمال، للتأكيد على أهميتها ومكانتها.

٢) أن السنة النبوية المباركة، والسيرة النبوية العطرة، كفيلة بإيجاد الحلول لشتى المعوقات التي تعترض الناس في حياتهم وأعمالهم، لكن ذلك متوقف على القراءة العميقة لنصوصهما، وأحداثهما.

٣) أنَّ العملَ التَّشَارُكِي مصدر قوة وعون من الله ﷻ للعبد.

(١) [سورة القصص: الآية ٧٠].

٤) أنَّ العملَ التَّشَارُكِي هو السبيل إلى بناء الأوطان، والحفاظ عليها، وإقامة الحضارات، وصناعة التاريخ.

٥) أنَّ العملَ التَّشَارُكِي يُمَكِّن من استثمار الطاقات، وتوظيفها أحسن توظيف.

٦) أنَّ العملَ التَّشَارُكِي يُمَكِّن من الاستفادة من الخبرات.

٧) أنَّ العملَ التَّشَارُكِي تحصل به البركة من الاجتماع على الخير، وَيَعُمَّ به الخير والنفع.

٨) أنَّ العملَ التَّشَارُكِي تُنْجَز به الأعمال العظيمة، ويتحقق به الأهداف المَرْجُوَّة بأعلى معايير النَّجاح.

٩) أنَّ العملَ التَّشَارُكِي يقوي أواصر المحبة والتراحم والترابط والألفة بين أفراد الأمة، المؤدية إلى رضا الله تعالى، ورسوله ﷺ، وينزع الشحناء من القلوب، ويقضي على الفرقة والشتات، التي تُؤْدِي بحياة الأمم.

١٠) أن نجاح العمل التَّشَارُكِي، والوصول لأهدافه، وتحصيل نتائجه لا يتحقق إلا باستلهام القوة والعون من الله تعالى، والإخلاص فيه لوجه الكريم، والتَّجَرُّد من أي هوى أو عصبيَّة أو حزبيَّة.

١١) أنَّ العملَ التَّشَارُكِي مُنْضَبِطٌ بالتَّعاون على البر والتقوى، وما فيه نفع للناس، مع البُعد عن كلِ ما فيه ضرر أو إفساد.

١٢) أنَّ العملَ التَّشَارُكِي يقوم على الشورى، وتبادل الآراء؛ للوصول لأفضل النتائج.

١٣) أن النَّبيُّ ﷺ، وصحابتُهُ الكرام ﷺ استطاعوا من خلال تشاركهم وتعاونهم وإخلاصهم لله تعالى، أن يقيموا للإسلام حضارةً زاهرةً، ودولةً ناجحةً ورائدةً، وأن يُشيّدوا للأخلاق الكريمة صُرُوحاً عظيمة، يهتدي بها كل حائر يبحثُ عن كيفية البناء السَّليم للإنسان خاصة، وللمجتمع عامة، ويبحث عن كيفية تحقيق الغايات، وبلوغ الآمال.

١٤) أن الهجرة النبوية هي خيرُ مثال على نجاح العمل التَّشَارُكِي، وتحصيل أعظم النتائج من خلاله، حيث كانت الهجرة اللبنة الأولى في تشييد دعائم دولة الإسلام، التي قامت بالتَّوكل على الله تعالى، واليقين في عونه سبحانه، المُتَسلِّحَة بالعلم، والتَّخْطيط السَّليم، المُتَفَانِيَة في الأخذِ بأسبابِ النَّجاح.

١٥) أننا إذا أَرَدْنَا أن نكون في مقدمة الأمم، وطليعة المجتمعات، فهذا لن يتأتى إلا بالتشارك والتعاون والوحدة والتكامل والتكاتف فيما بيننا، ونبذ كل ما من شأنه أن يورث التنازع والشحناء والبغضاء والفرقة والشتات، معتصمين بقول الله تعالى ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[1].

وفي النهاية، فإنني أوصي بالآتي:

- **إخلاص النية لله تعالى.**
- **التركيز على الموضوعات التي تمس الواقع، وربطها بالسنة والسيرة النبوية المطهرة، ومعالجتها في ضوئهما.**
- القراءة الدقيقة للسيرة النبوية، وفهمها بعمق، وتحليل أحداثها، والوقوف على معانيها، لاستخلاص النتائج منها، وتطبيقها على واقعنا المعاصر.
- التركيز على الموضوعات التي تعمل على جمع شمل الأمة، ووحدتها، والنهوض بها؛ كي نستطيع مواجهة التحديات التي تحيط بنا.
- القيام بدراسة موسعة للهجرة النبوية، وإبراز أبعادها الحضارية، والاجتماعية، حيثُ إن السيرة النبوية لم ينته الكلام فيها.
- تناول مناهج الأئمة الذي كتبوا في السيرة النبوية؛ للوقوف على جهودهم، وبراعة تناولهم لأحداثها.

(١) {سورة آل عمران: من الآية ١٠٣}

- التأكيد على ممارسة التعلم التشاركي في العملية التعليمية، لما له بالغ الأثر في تحقيق مستهدفات التعليم الحديث.

وختاماً، أسألُ اللهَ العليَ القديرَ أن يتقبل هذا العمل المتواضع بقبولٍ حسن، وأن يرزقني التَّوْفيقَ، والسَّدادَ، والعَوْنَ، والفتحَ، إنَّهُ وَليُّ ذَلِكَ، ﴿ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨ ﴾[1]، كما أسأله سبحانه وتعالى أن يجمعنا على طاعته سبحانه وتعالى، وأن يضمَّنا تحت رايته، وأن يشْملنا بعونه وكرمه وعنايته، وأن يجمع فرْقَنَا، ويوحِّد شملنا، ويقوي صفوفنا، ويؤلف بين قلوبنا، راجياً منه سبحانه تعالى أن نكون من أهل قوله الكريم﴿ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٣ ﴾[2].

وصلي اللهم وسلم وبارك على عبدك ونبيك سيدنا ومولانا مُحَمَّد، الرسول الأكرم، والنَّبيّ الأكمل، وعلى آله الطاهرين، وصحابته الأخيار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ونحن معهم بفضلك يا أكرم الأكرمين،

﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢ ﴾[3]

(١) [سورة التحريم: الآية ٨].

(٢) {سورة الأنفال: من الآية ٦٣}

(٣) {سورة الصافات: من الآية ١٨٠ – ١٨٢}

فهرس المصادر والمراجع

* **أولاً: (القرآن الكريم)**، مصحف المدينة المنورة.

* **ثانياً: كتب التفسير، وعلوم القرآن الكريم:**

- **(أحكام القرآن)**، للقاضي مُحَمَّد بن عبد الله أبو بكر بن العربي الاشبيلي المالكي (ت: ٥٤٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- **(تفسير الشعراوي – الخواطر)**، للإمام الشيخ مُحَمَّد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم، عام النشر ١٩٩٧م.
- **(حديث القرآن الكريم عن الهجرة إلى المدينة المنورة)**، مقال للأستاذ الدكتور/ السيد مُحَمَّد الديب، مجلة الأزهر الشريف، تاريخ النشر، عدد جمادي الآخرة ١٤٤٤ هـ | يناير ٢٠٢٣ م.

* **ثالثاً: كتب الحديث الشريف، وعلومه:**

- **(الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما)**، لأبي عبد الله ضياء الدين مُحَمَّد بن عبد الواحد المقدسي (ت: ٦٤٣هـ)، تحقيق: أ.د/ عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، الناشر: دار خضر للطباعة، بيروت، الثالثة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- **(الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان)**، للإمام مُحَمَّد بن حبان بن أحمد بن حبان، التميمي، أبو حاتم، البُستي (ت ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي ابن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، طبعة: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- **(أسد الغابة في معرفة الصحابة)**، للإمام عز الدين أبي الحسن علي بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الكريم الشَّيْبَانِي، المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ)، طبعة: دار الكتب العلمية ـ الأولى ـ سنة: ١٤١٥هـ.

- (**أعلام الحديث، شرح صحيح البخاري**)، للإمام أبو سليمان حمد بن مُحَمَّد الخطابي (ت ٣٨٨ هـ)، المحقق: د. مُحَمَّد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، الناشر: جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م.
- (**الإفصاح عن معاني الصحاح**)، للإمام يحيى بن (هُبَيْرَة بن) مُحَمَّد بن هبيرة الذهلي الشيبانيّ، أبو المظفر (ت ٥٦٠هـ)، تحقيق: فؤاد عبد المنعم، طبعة: دار الوطن، سنة ١٤١٧هـ.
- (**إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم**)، للقاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت: ٥٤٤هـ)، المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- (**تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة**)، للقاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، الناشر: وزارة الأوقاف بالكويت عام النشر: ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م.
- (**التيسير بشرح الجامع الصغير**)، للإمام زين الدين عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي القاهري (ت ١٠٣١هـ)، طبعة: مكتبة الإمام الشافعي – الرياض، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ.
- (**جهود شيوخ الأزهر وعلمائه النبلاء ومن عاش بمصر من الفضلاء ومناهجهم في خدمة صحيح البخاري من بداية القرن العاشر الهجري إلى عام (١٤٣٨هـ) من القرن الخامس عشر**)، بحث من تأليف د/ أحمد مُحَمَّد خاطر، مدرس الحديث في كلية الدراسات الإسلامية بدمياط.
- (**حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**)، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، الناشر: دار السعادة - مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

- **(دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة)**، للإمام أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٠٥ هـ.
- **(سنن ابن ماجه)**، للإمام أبي عبد الله مُحَمَّد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ) . تحقيق: شعيب الأرناؤوط – وآخرون ـ طبعة: دار الرسالة العالمية ـ الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.
- **(سنن سعيد بن منصور)**، لأبي عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني (ت: ٢٢٧هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: الدار السلفية – الهند، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ –١٩٨٢م.
- **(شرح سنن أبي داود)**، للإمام أبي مُحَمَّد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (ت ٨٥٥هـ)، تحقيق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، طبعة: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.
- **(شرح صحيح البخارى)**، لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال (ت ٤٤٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.
- **(صحيح البخاري)، واسمه (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)** للإمام أبي عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ). ـ تحقيق: مُحَمَّد زهير بن ناصر الناصر ـ طبعة: دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- **(صحيح مسلم)، واسمه (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ)** للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ) ـ تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي ـ طبعة: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

- (**غوامض الأسماء المبهمة الواقعة في متون الأحاديث المسندة**)، لأبي القاسم خلف بن عبد الملك ابن مسعود بن بشكوال، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ.
- (**فتح الباري شرح صحيح البخاري**)، لشيخ الإسلام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢ هـ) .طبعة: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ. تحقيق: الشيخ مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي.
- (**فتح المنعم شرح صحيح مسلم**)، أ.د/ موسى شاهين لاشين، طبعة: دار الشروق ـ مصر ـالأولى، ١٤٢٣ هـ.
- (**فيض القدير شرح الجامع الصغير**)، لزين الدين عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المُنَاوِي القاهري (ت ١٠٣١هـ)، طبعة: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦هـ.
- (**الكاشف عن حقائق السنن**)، **وهو شرح لمشكاة المصابيح**، لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، طبعة: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة – الرياض)، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.
- (**الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري**)، للإمام مُحَمَّد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني (ت ٧٨٦هـ)، طبعة: دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، طبعة أولى: ١٣٥٦هـ – ١٩٣٧م، طبعة ثانية: ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.
- (**اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح**)، للإمام شمس الدين البِرْماوي، أبو عبد الله مُحَمَّد ابن عبد الدائم بن موسى النعيمي المصري الشافعي (ت ٨٣١ هـ)، تحقيق: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، طبعة: دار النوادر، سوريا، الأولى، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م.

- (**لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح**)، لعبد الحق بن سيف الدين بن سعد الله الدِّهلوي (ت١٠٥٢ هـ) تحقيق: أ.د/ تقي الدين الندوي ـ طبعة: دار النوادر– سوريا ـ الطبعة: الأولى، ١٤٣٥هـ
- (**مجالس التذكير من حديث البشير النذير**)، لعبد الحميد مُحَمَّد بن باديس الصنهاجي (ت: ١٣٥٩هـ)، الناشر: مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- (**مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**)، للإمام أبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، طبعة: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.
- (**مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**)، للإمام علي بن (سلطان) مُحَمَّد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت ١٠١٤هـ)، طبعة: دار الفكر، بيروت ـ الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- (**مستدرك على الصحيحين**)، للإمام أبي عبد الله الحاكم مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي النيسابوري المعروف بابن البيع (ت ٤٠٥هـ) ـ تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ـ طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت ـ الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.
- (**مسند أبي يعلى**)، للإمام أبي يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى التميمي، الموصلي (ت ٣٠٧هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، طبعة: دار المأمون للتراث – دمشق الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.
- (**مسند أحمد**)، للإمام أبي عبد الله أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشَّيباني (ت٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وآخرون، طبعة: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

- (**مسند الشافعي**)، للإمام أبي عبد الله مُحَمَّد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب المطلبي القرشي المكي (ت: ٢٠٤هـ)، رتبه على الأبواب الفقهية: مُحَمَّد عابد السندي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، عام النشر: ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١م.
- (**مشارق الأنوار على صحاح الآثار**)، للقاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت ٥٤٤هـ)، دار النشر: المكتبة العتيقة، تونس، ودار التراث، القاهرة.
- (**مصابيح الجامع**)، لبدر الدين مُحَمَّد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر، المخزومي، المعروف بالدماميني، (ت: ٨٢٧ هـ)، تحقيق: نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر، سوريا، الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- (**مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه**)، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر البوصيري الشافعي (ت: ٨٤٠هـ)، المحقق: مُحَمَّد المنتقى، الناشر: دار العربية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ.
- (**معالم السنن – شرح سنن أبي داود**)، للإمام أبو سليمان حمد بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن الخطاب المعروف بالخطابي (ت: ٣٨٨هـ)، الناشر: المطبعة العلمية – حلب: الأولى ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م.
- (**المعجم الأوسط**)، لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق عوض الله، عبد المحسن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين – القاهرة.
- (**المعجم الكبير**)، لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير الشامي، الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي عبد المجيد، الطبعة: الثانية.

- (**المفاتيح في شرح المصابيح**)، لمظهر الدين الحسين بن محمود بن الحسن، الزَّيْدَانيُّ الكوفي الضَّريرُ الشِّيرازيُّ الحَنَفيُّ المشهورُ بالمظْهِري (ت: ٧٢٧ هـ). الناشر: دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية بوزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.
- (**المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**)، للإمام أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (ت ٦٥٦ هـ)، تحقيق: محيي الدين ديب ميستو، وآخرون، طبعة: (دار ابن كثير، دمشق - بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت)، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- (**المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**)، للإمام أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ) ـ طبعة: دار إحياء التراث العربي — بيروت ـ الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.

*** رابعاً: كتب السِّيَر، والتَّاريخ، والتَّراجم:**

- (**الاستيعاب في معرفة الأصحاب**)، للإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القُرْطُبِي (ت ٤٦٣ هـ) تحقيق: علي مُحَمَّد البجاوي، دار النشر : دار الجيل ـ بيروت ، الطبعة : الأولى ١٤١٢هـ.
- (**الإصابة في تمييز الصحابة**)، لشيخ الإسلام أبي الفضل أحمد بن علي بن حَجَر العَسْقَلَانِي الشَّافِعِي(ت ٨٥٢ هـ)، طبعة: دار الكتب العلمية — بيروت ـ الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ.
- (**الأعلام**)، لخير الدين بن محمود بن مُحَمَّد بن علي بن فَارِس الزِّرِكْلِي الدِّمَشْقِي (ت ١٣٩٦ هـ)، دار النشر : دار العلم للملايين ـ بيروت ـ الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.
- (**البداية والنهاية**)، للإمام أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) ـ طبعة: دار الفكر ـ عام النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.

- (**البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**)، لمحمد بن علي بن مُحَمَّد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، طبعة: دار المعرفة – بيروت (١/ ١٠٩).
- (**التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول**)، لأبي الطيب مُحَمَّد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله القِنَّوجي (ت ١٣٠٧هـ) . طبعة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.
- (**تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**)، للإمام شمس الدين مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) دار النشر: دار الكتاب العربي . بيروت، تحقيق : عمر عبد السلام تدمرى . الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
- (**تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري**)، للإمام مُحَمَّد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، الناشر: دار التراث – بيروت، الطبعة: الثانية - ١٣٨٧ هـ.
- (**التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**)، لشمس الدين أبو الخير مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن مُحَمَّد السخاوي (ت ٩٠٢هـ)، طبعة: الكتب العلميه، بيروت –لبنان، الطبعة: الاولى ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- (**تقريب التهذيب**)، لشيخ الإسلام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) تحقيق: مُحَمَّد عوامة، طبعة: دار الرشيد – سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
- (**حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار**)، لمحمد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشافعي، الشهير بـ «بَحْرَق» (ت: ٩٣٠هـ)، الناشر: دار المنهاج – جدة، الأولى - ١٤١٩ هـ.
- (**حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**)، للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، الناشر : دار إحياء الكتب العربية - عيسى الحلبي– مصر ـ ط الأولى ١٣٨٧ هـ.

- (**خاتم النبيين ﷺ**)، للشيخ مُحَمَّد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ)، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة، عام النشر: ١٤٢٥ هـ.
- (**خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**)، لمحمد أمين بن فضل الله المحبي الحموي الأصل، الدمشقي (ت ١١١١هـ)، طبعة: دار صادر – بيروت.
- (**الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**)، لشيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ) ـ الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية – صيدر أباد/ الهند ـ الثانية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
- (**الدرر في اختصار المغازي والسير**)، للإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد البر النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)، المحقق: د/ شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف – القاهرة، الثانية، ١٤٠٣ هـ.
- (**ديوان الإسلام**)، لشمس الدين مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن الغزي (ت ١١٦٧هـ) ـ تحقيق: سيد كسروي ـ طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ـ الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ – ١٩٩٠ م.
- (**الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام**)، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (ت ٥٨١هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام، طبعة: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الأولى، ١٤٢١هـ.
- (**سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد**)، للإمام مُحَمَّد بن يوسف الصالحي الشامي (ت: ٩٤٢هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م.
- (**سلم الوصول إلى طبقات الفحول**)، لحاجي خليفة (ت ١٠٦٧ هـ)، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، طبعة: مكتبة إرسيكا، إسطنبول.
- (**سير أعلام النبلاء**)، للإمام شمس الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، طبعة مؤسسة الرسالة ـ ١٤٠٥ هـ.

- (**السيرة النبوية لابن هشام**)، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، (ت ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، طبعة: مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م.
- (**السيرة النبوية وأخبار الخلفاء**)، للإمام مُحَمَّد بن حبان بن أحمد بن حبان، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، الناشر: الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٧ هـ.
- (**السيرة النبوية**) (**من البداية والنهاية لابن كثير**)، للإمام أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، عام النشر: ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م.
- (**شذرات الذهب في أخبار من ذهب**)، لعبد الحي بن أحمد بن مُحَمَّد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت ١٠٨٩هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، طبعة: دار ابن كثير، دمشق – بيروت،الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- (**الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**)، لشمس الدين السخاوي (ت ٩٠٢هـ)، طبعة: دار مكتبة الحياة – بيروت.الطبعة: الأولى، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.
- (**طبقات الشافعية الكبرى**)، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت ٧٧١هـ)، المحقق: د. محمود مُحَمَّد الطناحي د. عبد الفتاح الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.
- (**طبقات الشافعية**)، لأبي بكر بن أحمد بن مُحَمَّد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، ابن قاضي شهبة (ت ٨٥١هـ)، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، دار النشر: عالم الكتب–بيروت، الأولى، ١٤٠٧ هـ.
- (**الطبقات الكبرى**)، للإمام أبي عبد الله مُحَمَّد بن سعد بن منيع، المعروف بابن سعد (ت ٢٣٠هـ)، تحقيق: مُحَمَّد عبد القادر عطا، طبعة: دار الكتب العلمية –بيروت، الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

- (**العبر في خبر من غبر**)، للإمام شمس الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، تحقيق: أبو هاجر مُحَمَّد بسيوني، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت.
- (**فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة**)، للشيخ مُحَمَّد سَعيد رَمضان البوطي، طبعة: دار الفكر _ دمشق _ الطبعة: الخامسة والعشرون – ١٤٢٦ هـ.
- (**قصة الهجرة.. نقلة استراتيجية وتخطيط دقيق بعزيمة وتوكل**)، مقال للدكتور/ مُحَمَّد عبده يماني، بعنوان صحيفة عكاظ، منشور بتاريخ يوم الثلاثاء ٣٠ ديسمبر ٢٠٠٨م.
- (**القول المبين في سيرة سيد المرسلين**)، للأستاذ الدكتور/ مُحَمَّد الطيب النجار (ت: ١٤١١هـ)، الناشر: دار الندوة الجديدة بيروت – لبنان.
- (**المختصر الكبير في سيرة الرسول ﷺ**)، للإمام عبد العزيز بن مُحَمَّد بن إبراهيم، ابن جماعة الكناني، الدمشقيّ، المصري، (ت: ٧٦٧هـ)، المحقق: سامي مكي العاني، الناشر: دار البشير – عمان، الطبعة: الأولى، ١٩٩٣م.
- (**معرفة الصحابة**)، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.
- (**ميزان الاعتدال في نقد الرجال**)، للإمام شمس الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: علي مُحَمَّد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٣ م.
- (**النور السافر عن أخبار القرن العاشر**)، لمحي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العَيْدَرُوس (ت ١٠٣٨هـ)، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت ـ الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.

- (**الهجرة النبوية.. سِرّية واستراتيجية**)، مقال للدكتور/ مُحَمَّد عبده يماني، منشور بتاريخ ٢٠١٣/١/١م على الشبكة العنكبوتية (الانترنت) موقع .http://dryamani.com/ar/News
- (**الوافي بالوفيات**)، لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، طبعة: دار إحياء التراث – بيروت، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- (**وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى**)، لنور الدين علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي، أبو الحسن السَّمْهُودِي (ت: ٩١١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩هـ.
- (**وفيات الأعيان**)، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان (ت ٦٨١هـ) ، تحقيق: إحسان عباس، طبعة: دار صادر – بيروت.

* **خامساً: كتب اللغة، والأدب، والمعاجم:**

- (**تاج العروس من جواهر القاموس**)، لأبي الفيض مُحَمَّد بن مرتضى الحُسَيْنِي الزُّبَيْدِي اليَمَنِي ثم المِصْرِي الحَنَفِي (ت ١٢٠٥ هـ) ، دار النشر : دار الهداية ، تحقيق : مجموعة من المحققين .
- (**جمهرة اللغة**)، لأبي بكر مُحَمَّد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، طبعة: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.
- (**الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**)، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور ، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.
- (**غريب الحديث**) لأبي سليمان حمد بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت ٣٨٨ هـ)، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، طبعة: دار الفكر – دمشق، عام النشر: ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

- (**الغريبين في القرآن والحديث**)، لأبي عبيد أحمد بن مُحَمَّد الهروي (ت ٤٠١ هـ)، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، طبعة: مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م.
- (**القاموس المحيط**)، لمجد الدين أبو طاهر مُحَمَّد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)، طبعة: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- (**كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**)، لحاجي خليفة (ت ١٠٦٧ هـ)، طبعة: مكتبة المثنى – بغداد، تاريخ النشر: ١٩٤١م.
- (**الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**)، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش - مُحَمَّد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.
- (**لسان العرب**)، لجمال الدين مُحَمَّد بن مكرم بن على، أبو الفضل، ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)، طبعة: دار صادر ـ بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤هـ.
- (**المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث**)، لأبي موسى مُحَمَّد بن عمر بن أحمد بن عمر الأصبهاني، المديني (ت: ٥٨١هـ)، الناشر: جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - مكة المكرمة، الأولى، سنة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- (**مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**)، لصفيّ الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي (ت ٧٣٩هـ)، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ.
- (**المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**)، لأبي العباس أحمد بن مُحَمَّد بن علي الفيومي ثم الحموي (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، طبعة: المكتبة العلمية – بيروت.

- (**معجم البلدان**)، لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)، طبعة: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م.
- (**معجم المؤلفين**)، لعمر كحَّالة، طبعة: مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- (**معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**)، لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن مُحَمَّد البكري الأندلسي (ت: ٤٨٧هـ)، الناشر: عالم الكتب، بيروت – الطبعة: الثالثة، ١٤٠٣ هـ.
- (**معجم مصطلحات العلوم الشرعية**)، إعداد مجموعة من الباحثين، الطبعة الثانية _ الرياض ١٤٣٩هـ .
- (**معجم مقاييس اللغة**)، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام مُحَمَّد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
- (**المُنَجَّد في اللغة**)، لأبي الحسن علي بن الحسن الهُنائي الأزدي، (ت: بعد ٣٠٩هـ)، تحقيق: د/ أحمد مختار عمر، د/ ضاحي عبد الباقي، الناشر: عالم الكتب، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٩٨٨م.
- (**النهاية في غريب الحديث والأثر**)، لمجد الدين المبارك بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الشيباني ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، طبعة: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود مُحَمَّد الطناحي.

*** سادساً: كتب أخرى:**

- (**أبجديات البحث في العلوم الشرعية**)، د/ فريد الأنصاري، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
- (**أهمية العمل الجماعي في الإسلام**)، مقال لتهاني سعد البدراني، جريدة الرياض، تاريخ النشر الجمعة ٢٨ جمادى الآخرة ١٤٣٩هـ – ١٦ مارس ٢٠١٨م.

- (**الشورى في الشريعة الإسلامية**)، للقاضي حسين بن مُحَمَّد المهدي، سجل هذا الكتاب بوزارة الثقافة اليمنية، الناشر: مكتبة المحامي: أحمد بن مُحَمَّد المهدي.
- (**عناصر الانتاج في الاقتصاد الإسلامي**)، د/ صالح حميد العلي ، طبعة: دار اليمامة للطبع ولنشر والتوزيع ــ سوريا ــ دمشق ــ الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، وأصله رسالة قُدِّمت لنيل درجة الماجستير في الفقه الإسلامي والاقتصاد.
- (**مقال للأستاذة أمل أناضولي**)، جريدة الاتحاد الإماراتية ــ عدد الأحد ١٦ سبتمبر ٢٠١٢م.
- (**مناهج البحث العلمي**)، تأليف د/ مُحَمَّد سرحان المحمودي، طبعة دار الكتب، صنعاء، اليمن، الطبعة الثالثة لسنة ١٤٤١هـ / ٢٠٢١م.
- (**موسوعة علم الاجتماع**)، د/ عبد المجيد لبصير، طبعة دار الهدى ــ الجزائر ٢٠١٠م.
- (**نظرات في المنطق الحديث ومناهج البحث**)، أ.د/ مُحَمَّد الأنور، طبعة رشوان، مصر، الثالثة، لسنة ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المُقَدِّمَة.	١٩٣
التمهيد	٢٠٢
المبحث الأول: التَّعريفِ بالعملِ التَّشَارُكي، وأهميته وفوائده، وضوابطه، وبعض نماذجه من خلال السيرة النبوية المباركة.	٢١١
المطلب الأول: التَّعريفُ بالعملِ التَّشَارُكي.	٢١٢
المطلب الثاني: أهميةُ العملِ التَّشَارُكي، وفائدته من خلال السِّيرة النَّبوية.	٢١٥
المطلب الثالث: ضوابطُ العملِ التَّشَارُكي من خلال السِّيرة النَّبوية.	٢٣٠
المطلب الرابع: نماذج من العملِ التَّشَارُكي من السِّيرةِ النَّبوية.	٢٤١
المبحث الثاني: (عوامل نجاح الهجرة النبوية المباركة باعتبارها عمل تَشَارُكِي).	٢٤٩
المطلب الأول: العامل الأول: (كمال التوكل على الله تعالى، والثقة في نصره وتأييده).	٢٥٢
المطلب الثاني: العامل الثاني: (التخطيط الجيد).	٢٥٦
المطلب الثالث: العامل الثالث: (التزام السرية التامة).	٢٧٦
المطلب الرابع: العامل الرابع: (إعلاء روح التعاون بين المشاركين في الهجرة).	٢٨٤
الخاتمة	٢٨٧
فهرس المصادر والمراجع	٢٩١
فهرس الموضوعات	٣٠٦